الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي يصدر كل ثلاثاء عن جريدة الثورة - العدد 1091 2022/4/12

ملف العدد

في اليوم العالمي لكتاب الطفل

أول الكلام

بوشكين في الميدان ....

▪ ديب علي حسن

مخطيء من يظن أن الحرب تدمير للبناء والبنية التحتية وغيرها من الأمور المادية وحدها دون مقومات الوجود الأساسية التي تعطي هذه البنى معناها ونسغها وروحها التي تشكل هويتها وانتماءها.

الحرب استهداف للثقافة أولاً وأخيراً، وهي محاولة تدمير الجذور واجتثاث الوعي.

ما فعله الاحتلال الأميركي في العراق، ومن قبله الاحتلال الفرنسي للجزائر ومحاولة الفرنسة . .عاد وفعلته داعش في تدمير الآثار ونهب المتاحف واستهداف كل ما يمت إلى الثقافة والإبداع.

دمروا متحف الموصل وحطموا تمثال أبي تمام هناك وفي دير الزور كان مصير تمثال محمد الفراتي كمصير سلفه أبي تمام لينتقل الأمر إلى المعرة ونبش ضريح فيلسوفها وفيلسوف الشعراء، أبي العلاء المعري.

اليوم في أوكرانيا يعمل النازيون بالطريقة نفسها . .بل يجب القول لقد شجع الغرب ذلك، فقد بدأ الأمر في بعض الجامعات الغربية وعدم تدريس الكتاب والمبدعين الروس الذين أثروا في الثقافة العالمية.

أوكرانيا كما تنقل الأخبار المتواترة من هناك تشن حرباً على الرموز الثقافية الروسية التي لم تعد تمثل روسيا وحدها إنما العالم كله.

فقد عمدت سلطات بعض المدن الأوكرانية إلى إزالة نصب تذكارية لبوشكين في أكثر من مكان.كذلك تعمل على طمس كل ما يدل على المبدعين الروس من تولستوي إلى دوستويفسكي وغيرهم. .

إنها النزعة النازية العنصرية التي تدور في فلك التبعية والمركزية الغربية التي لا ترى العالم إلا تابعاً وذيلاً لها.

إذن إنها الحرب الشاملة وأول أهدافها الثقافة، نبض الحياة ودم الهوية والانتماء.

إيفا عباس ومعرض حنين

هل تغيرت صورة أميركا؟

أمل دنقل: لا تصالح

إيضاحات حول بوشكين

مجمع اللغة العربية وجائزة الأمير الشهابي

أعلن مجمع اللغة العربية في دمشق عن جائزة الأمير الشهابي للعلوم الطبيعية في موضوع (النبات.. الحيوان.. الجيولوجيا) للأفراد مع إفساح المجال للجهات العلمية والفكرية والثقافية في ترشيح من تراه مناسباً.

يأتي ذلك بعد أن كان المجمع أعلن عن الجائزة للمرة الأولى في شباط ٢٠٢٠ ولكن جراء الظروف الناجمة عن جائحة كورونا تم تأجيلها آنذاك.

وحدد مجمع اللغة شروط الترشح للجائزة بأن يكون المرشح عربياً لم يمض على نشر أعماله المقدمة لنيل الجائزة أكثر من عشر سنوات وأن تكون أعماله مطبوعة باللغة العربية ولا يجوز المشاركة بكتب مقررة في مناهج المؤسسات التعليمية.

ومن شروط الجائزة التي يقبل الترشح لها حتى نهاية شهر كانون الأول القادم ألا يكون المرشح نال على عمله جائزة من قبل وألا يكون الإنتاج مأخوذاً من رسائل الدراسات العليا في الماجستير والدكتوراه.

وتقدم الجائزة التي تبلغ قيمتها مليون ليرة سورية في احتفال يعلن عنه المجمع لاحقاً بعد تقييم الأعمال المقدمة وإعلان أسماء الفائزين ولا تعاد الأعمال المقدمة لنيل الجائزة إلى أصحابها.

يشار إلى أن الأمير مصطفى الشهابي ولد في حاصبيا بلبنان سنة ١٨٩٣ تخرج مهندساً زراعياً من المدرسة الوطنية الزراعية العالية في مدينة غرينيون بفرنسا وهو أحد الأعضاء الأوائل في مجمع اللغة العربية وترأسه من عام ١٩٦٠ ولغاية وفاته سنة ١٩٦٨ وشغل مناصب عديدة حيث تبوأ عدة وزارات ونشر مئات المقالات في مجلة المجمع وأصدر عشرات الكتب العلمية واللغوية منها (معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية) و(مصطلحات العلوم الزراعية) وغيرها الكثير.

معرض

أجود فرهود.. يطوع البازلت

تجربة للنحت على الحجر البازلتي قدمها أجود فرهود من بلدة المزرعة بريف السويداء على مدار أكثر من خمسين عاماً بما يعكس إبداعه في هذا المجال وإمكانياته وذائقته الفنية.

النحات أجود ٧٣ عاماً الذي يمارس فن النحت بالفطرة نجح بتحويل هوايته وموهبته وتطويع حجر البازلت الأزرق الأصم بأعمال متقنة ومنحوتات مختلفة الأحجام تنطق بالحياة وتماثيل تصدر بعضها المشاهد في الساحات العامة كمجسم نحتي لمدفع في مدخل بلدته المزرعة يرمز إلى آلة دمرها الأجداد في معركة المزرعة إحدى معارك الثورة السورية الكبرى ضد الاحتلال الفرنسي.

مهنة النحت رافقت الفنان أجود بتفاصيل حياته ومارسها حتى الآن ولم يتخل عنها رغم تسببها له بإصابة كفت إحدى عيناه من غير أن تنال من إرادته التي استمدها من صلابة الحجر الذي عايشه على مدار سنوات وأصبح كما قال «يعيش في دمه» مكابراً حيث تأثر سمعه بغياب أصوات أدوات العمل والمتمثلة بالمناشير الكهربائية للقطع الصغيرة والإزميل والمطرقة والمهدة للقطع الكبيرة.

أعمال متنوعة في حصيلة الفنان أجود يبدع بنحتها بتفاصيل دقيقة ويبرز منها بالنسبة للقطع الصغيرة منحوتات للكنائس والجوامع والمكاييل والسيوف والخناجر والأسلحة القديمة والأدوات التراثية وغيرها بينما يقدم بالمنحوتات الكبيرة تماثيل ومجسمات مختلفة تتطلب الكثير من الوقت والجهد والدقة.

ويستوحي الفنان أجود أعماله من البيئة التي نشأ فيها وأنتجت هذا الحجر البازلتي القاسي الذي يتعامل معه كصديق بأحاسيس تعكس روح الإصرار والتحدي لديه لينتج أعمالاً تمتزج فيها الأفكار والمشاعر بتصوير الواقع المعيش بعد جلبه للأحجار التي تعجبه وتطويعها وإعطائها رونقاً فنياً ما يزيل عنه غبار التعب والساعات الطويلة التي تحتاجها المنحوتات للإنجاز.

ويجد الفنان أجود أن مهنة النحت على البازلت تتطلب دقة عالية لكون هذا الحجر يتسم بالقساوة والصلابة لكنه يتجاوز كل هذه الصعوبات أمام عشقه للبازلت الذي يشعر من شدة التعلق به كأنه شخص ماثل أمامه ويتبادلان الحديث معاً.

رئيس التحرير
أحمد حمادة

مدير التحرير
معد عيسى

إشراف
ديب علي حسن

الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
دمشـــق ص.ب ٢٤٤٨
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

كتاب العدد
حسب الترتيب الهجائي

ثائر زين الدين
سلام الفاضل
شهناز فاكوش
علم عبد اللطيف
قحطان بيرقدار
مها محفوض محمد
نبيل نوفل
نوار حيدر

في يومه العالمي.. كتاب الطفل بين الواقع والمطلوب

نوار حيدر

حصاد المستقبل يبدأ من إرواء الأرض العطشى لتنبت ومن ثم تزهر، كما الطفل الذي يجب أن يرتوي قراءة ومعرفة ومتابعة، فمتابعة الطفل وتزويده بالكتاب ليعتاد على القراءة هو جلّ ما يمكن تقديمه لأطفالنا لدعم طفولتهم وتوجيههم ليكونوا فاعلين في حياتهم وداعمين للمستقبل.. وبمناسبة اليوم العالمي لكتاب الطفل كانت لنا هذه الجولة مع المهتمين بهذا الشأن ولاسيما في مجال النشر.

جيل يبني جيل يقرأ

رئيس اتحاد الناشرين السوريين السيد هيثم الحافظ يرى أن تربية الطفل تعتمد على المعرفة والعلم والقراءة

تابع الحافظ : نحن نعمل من خلال أطر ثقافية متميزة ومن خلال منشورات للأطفال تعنى بالقيم الثقافية العالية، كما أنها تعنى بالعلم والمعرفة والتقدم.

عندما ننتج منشورات متعددة للأطفال يكون هدفها الأساسي والأول تكوين عادة القراءة التي علينا أن نعمل عليها كمجتمع والذي يتوجب عليه أن يقوم بابتداع أفكار إيجابية وجديدة تعزز قيمة القراءة وتنقل المجتمع إلى مجتمع قارئ لا إلى مجتمع متلق لثقافات غازية مهدمة.

ونحن في اتحاد الناشرين السوريين نأخذ على عاتقنا كما جميع الناشرين عموماً إثراء المجتمع السوري بالمطبوعات الموجهة للأطفال التي تزيد من حب المعرفة والاطلاع من خلال جودة المنتجات التي يصدرها الناشرون.

لاسيما أن الطفل السوري لا يزال يتمسك بالقراءة ويستمتع بها ويعمل بشكل مستمر على إثراء ثقافته من خلال علاقته بالكتاب في ظل التكنولوجيا الحديثة.

فالتكنولوجيا لم تؤثر تأثيراً كبيراً على الكتب الموجهة للأطفال، ربما أثرت على كتب الكبار، لكن من واجبنا أن ندمج التكنولوجيا بالكتاب والموسيقا والصوت مثل أن يكون لدينا كتاب صوتي نقدم من خلاله قيماً ثقافية جديدة و رؤية حضارية مميزة.

في ظل أزمة كورونا تأثر الكتاب عموماً ليس في سورية فقط إنما الكتاب العربي عموماً وخاصة الكتب الموجهة للكبار، أما بالنسبة للكتاب الموجه للأطفال طاله التأثير في بداية الحرب على سورية والآن بدأ يتعافى

وبدأ الإنتاج يسير بشكل متوازن وجيد خاصة في أشهر الصيف التي تجعل من كتاب الطفل حاجة.

«جيل يبنى جيل يقرأ» هو شعار أطلقه اتحاد الناشرين السوريين ويسعى بناء عليه إلى تعزيز قيم القراءة عند الأطفال وإيصالها إلى الناشئة، كما يسعى إلى تقديم القراءة بشكلها الإيجابي من خلال الحكايات والقصص والمسرحيات التي تجعل من القراءة عادة ممتعة لاسيما إذا ترافقت مع الصوت الذي قد يؤديه بعض الفنانين السوريين المتميزين الذين يجذبون الطفل من خلال صوتهم الجميل ليترافق هذا مع قراءة الطفل لكتابه.

واليوم بدأ الناشرون السوريون بانتاج القصص الصوتية بشكل جيد لنقف أمام رؤية حضارية وتنمية للقراءة بشكل واثق لأن المجتمع يرى الآن أن القراءة أصبحت حاجة وليست ترفاً وهذا بات واضحاً للعيان، فالمجتمع السوري يسعى إلى القراءة وإلى اقتناء الكثير من الكتب خاصة الفئة الموجهة وهي فئة الأطفال أو الناشئة، كما أنه يقدم كتاباً جداً.

نسبة الكتب الأكثر مبيعاً خلال الثلاثة أشهر الماضية هي قصص الأطفال العالمية التي ترافقها الجودة في الطباعة والشكل المميز الجذاب والتي تعطي إثراء بصرياً للطفل من خلال الرسوم المعبرة والمتقنة، وأرى أن بعض الروايات الشبابية الموجهة للناشئة كان لها دور كبير ومهم ،إضافة إلى كتب تعليم الأحرف والأرقام العربية التي كان لها حضورها، ناهيك عن القصص الجديدة للكتاب الشباب الجدد التي نراها في الأسواق السورية بشكل ملحوظ و نرى إقبالاً واسعاً عليها.

ختم الحافظ صار واضحاً أن المجتمع السوري يبحث عن الكتاب ذي السعر المقبول وأنا من منبركم أنادي الكتّاب ودور النشر والمطابع والمكتبات ومن يعنى بالطباعة أن يحاول أن يقدم كتاباً بسعر مقبول بعيد عن المغالاة، ليكون هذا الكتاب رؤية جديدة للناس، مقبول لدى جميع المستويات العمرية، ومن كل طبقات المجتمع كي نعزز قيم القراءة ونعمل عليها جميعاً.

تكريس القيم

أوضح مدير دار نشر الرواد السيد قاسم تراس أن اللغة السليمة والراقية المستخدمة في المنشورات الخاصة بالأطفال تدعم لغة الطفل بشكل كبير جداً، والقيم الأخلاقية والأدبية المتضمنة في منشورات الطفل تؤسس شخصية الطفل الإبداعية، وتنمي فيه مهارات الحياة اليومية والحياة الاجتماعية، وترسخ دوافع النشاط والعمل فيه.

الرسوم الراقية والجذابة لا تقل أهمية عن مغريات التكنولوجيا المعاصرة، لذلك لا بد أن تزهو كتب الاطفال برسوم وألوان جذابة وتحاكي تفكير الطفل المعاصر، كما أنه لابد من وجود كتب أطفال متطورة، بمعنى أنها تحمل معها مثلاً صوت، أو صفحات بارزة (مجسمات) أو صفحات قابلة للكتابة والمسح مثلاً، أي أن كتاب الطفل لابد أن يتطور من شكله الكلاسيكي القديم إلى شكل معاصر أكثر.

انخفضت نسبة النشر بشكل عام وبشكل كبير خلال المدة السابقة بسبب جائحة كورونا، والحقيقة يصعب كثيراً تقدير نسبة النشر أو حجم المنشورات في بلدنا أو في العالم العربي بشكل خاص ذلك لأن العمل الإحصائي لايزال ضعيفاً في عالم النشر، لكن هنالك تراجع كبير وملحوظ في المنشورات عموماً.

ثقافةُ الطِّفل..فوضى عارمةٌ ومسؤوليّةٌ مُضاعفة

قحطان بيرقدار

في الثاني من نيسان، ومنذُ أكثر من خمسين عاماً، يُحتفَل باليوم العالميّ لكتاب الطفل، ويُصادف هذا التاريخ يوم ميلاد الأديب الدنماركي الشهير «هانس كريستيان أندرسن» (١٨٠٥ – ١٨٧٥م) صاحب الروائع في مجال أدب الأطفال (فرخ البط القبيح، الحورية الصغيرة، بائعة الكبريت، جندي الصفيح... إلخ)، ورائد الحكايات الخرافيّة، وصاحب التأثير العالميّ العميق في مجال الكتابة للأطفال.

تُثيرُ هذه المناسبةُ لديّ شُجوناً عدّة، ولا سيّما أنني أعملُ في مجال الإنتاج الفنيّ للأطفال منذ أكثر من عشرين عاماً، وعلى احتكاك دائم بما يُنتَج ويُقدّم إلى الأطفال في سورية وخارجها، وذلكَ من منطلق عملي في السنوات الستّ الأخيرة رئيساً لتحرير مجلّة الأطفال «أسامة»، إضافةً إلى عملي في السنتين الأخيرتين مديراً لمنشورات الطفل في الهيئة العامّة السُّورية للكتاب، كما تُثيرُ شجوناً عدّة حول ما يتعلّقُ بالكتاب المُوجّه إلى الطفل العربيّ عامّةً، ولعلّنا نلاحظُ أنّ هذه المناسبةَ تُذكَرُ عرَضاً في كلّ عام في عالمنا العربيّ، ويُقامُ بعض الفعاليات إحياءً لها، كما يُقامُ بعض ورشات العمل والمحاضرات والندوات ضمن إطار احتفاليّ شكليّ أكثر ممّا هو تأمُّلٌ بنّاءٌ في واقع حال الثقافة المُوجّهة إلى الأطفال العرب والمستوى الذي وصلت إليه، فهل ما نُقدّمُهُ إلى الطفل العربيّ من كُتُب ودوريات يُشكّلُ إضافةً حقيقية إلى ما قُدّمَ إليه سابقاً عربيّاً وعالمياً؟ هل نحنُ أصلاء في هذا المجال أم مُقلّدُون؟ هل يُشكّلُ بناءُ ثقافةٍ حقيقية للطفل العربيّ أولويةً بالنسبة إلينا، أو هو أمرٌ ثانويّ قياساً بما يُقدّم إلى الكبار من نتاج ثقافيّ؟ وفي خضمّ الثورة الرقميّة وانتشار مواقع التواصُل الاجتماعيّ والألعاب الإلكترونية، هل نحن قادرون على أن نَشُدّ الطفلَ العربيّ إلى القراءة والاطلاع على ما تُراكِمُهُ المطابعُ من كُتُب وإصدارات مُوجّهة إليه؟ إلى غير ذلك من أسئلة وقضايا أراها جديرةً بالبحث والدراسة والتقييم.

مع ازدياد عدد دور النشر المُختصّة بالأطفال في البلدان العربيّة، ومع ازدياد معارض كتاب الطفل والمهرجانات الخاصّة بثقافة الأطفال وما يتّصلُ بها من ندوات وملتقيات، نلحظُ، على نحوٍ أو آخر، أنّ المنحى التجاريّ هو المُهيمن، وهو المُعوّلُ عليه الأساسيّ في التعاطي مع منشورات الطفل في هذا الزمن الاستهلاكيّ، مع قلّة الجودة الأدبية والفنية لهذه المنشورات عامّةً، ومع فوضى عارمة في التعاطي معها، ومن المُؤكّد أنّ التجارةَ بوسائط النشر للطفل جميعاً لا ضيرَ فيها، وهي حقٌّ مشروعٌ لمن يعملون في هذه الصناعة، ولا ريبَ في أنّ التجارة بكُتُب الأطفال وُجِدَت في أوروبّا منذُ وُجِدَت كتبُ الأطفال، ومنذُ بدأت هذه الكتبُ تُطبَعُ وتُوزّع، لكنّ المشكلةَ تكمنُ في أن يكونَ الهدف التجاريّ والربحيّ هو وحدَهُ محطّ اهتمام من يعملونَ في هذه الصناعة.

هذا ما نُلاحظُهُ يزدادُ حدّةً في مجتمعاتنا العربية، فما من معرض يُقامُ لكُتُب الأطفال إلّا ونجدُ أسعارَ الكُتُب فيه مرتفعةً جداً مع تدنّي المستوى الأدبيّ والفنيّ في الغالب الأعمّ، فكثيراً ما نُصادفُ في بعض دور النشر المُشاركة في معارض الكتاب كُتباً تُركّز على الوعظ الدينيّ المباشر، وكُتباً تتضمّنُ محتوياتٍ متنوّعة لا تلائمُ الطفل، وكتُباً تتضمّن معلومات وصوراً جُمِعَتْ جَمْعاً دونَ أيّ ترابُطٍ أو وحدة أو هدف، وكُتُباً لكُتّابٍ جُدد ليسَ لديهم الخبرة الكافية في الكتابة للطفل، نراهم يقعونَ في كتاباتهم في أخطاءٍ لغويّة وتربويّة وأدبيّة وفنيّة تنعكسُ سلباً على الطفل، ولعلّنا نُلاحظُ أنّ عددَ الدُّخلاء وقليلي الخبرة يزدادُ يوماً بعدَ يوم في عالم الكتابة للطفل، بل يُبوّأ بعضُ هؤلاء الدُّخلاء وقليلي الخبرة ناصيةَ الإشراف على بعض الإصدارات والدوريات والنّشاطات التي تُوجّهُ إلى الأطفال في غيرِ مكانٍ من عالمنا العربيّ، وهذا كلُّهُ ينعكسُ سلباً على واقع ثقافة الطفل العربيّ.

إضافةً إلى ما سبق، نلاحظُ تركيزَ عددٍ لا بأسَ به من دور النشر على الكُتُب المُترجَمة لكلاسيكيّات أدب الأطفال في الغرب بترجمات وطبعات تتفاوتُ مستوياتُها من الجيّدة إلى التجاريّة الرديئة، معَ أنّ هذه الكلاسيكيّات لم تَعُدْ تصلحُ لطفل اليوم على نحوٍ أو آخر، معَ ملاحظةِ أنّ غالبيّة تلك الكُتُب تُركّزُ على الشكل الخارجيّ والرسُوم والألوان في محاولةٍ لجذبِ الأطفال وذويهم بناءً على هذا الزُّخرف الشكليّ فحسب، في حين أنّ المضامينَ التي تحتويها هذه الكتُب تئنُّ وترزحُ تحت وطأة اللاجدوى وانعدام الفائدة والمتعة، معَ العلم أنّ كِتابَ الطفلِ المثاليّ هو الذي يقومُ على التكامُل الفنيّ الخلاق بين الشكل والمضمون، فهو ليسَ رسوماً وألواناً برّاقة فقط، إنما هو في الأساس مضمونٌ راقٍ وممتعٌ ومُعبّرٌ ومفيد.

إذاً أطفالُنا ليسوا في مأمنٍ من فوضى المنشورات التي تُقدّمُ إليهم، وأصبحت المهمّة المُلقاة على عاتق الأسرة في اختيار الكُتُب المُناسبة والمفيدة لأطفالها مهمةً صعبةً جدّاً في ظلّ هذه الغزارة غير المنضبطة من الكتُب والمجلات وغيرها من وسائط النشر، وهنا يبرزُ دورُ النقد في تمحيص هذه الأكوام الهائلة من المنشورات وتمييز الغثّ من السمين، والنقدُ في هذه الحال يُمثّلُ حالةً توعويّةً للمجتمع ككُلّ حيالَ تلك المنشورات، ويُساعِدُهُ على نحوٍ أو آخر في اصطفاء المنشورات المناسبة للأطفال واستبعاد ما هو غيرُ ملائم لهم ممّا تزخرُ به سوقُ النشر للأطفال في البلدان العربية على اختلاف مُستوياتها، لكنّنا نُلاحظُ أنّ عينَ النقد فيما يخصُّ منشورات الطفل مُغمَضة أو شبه مُغمَضة، فنادراً ما نقعُ على دراسات نقديّة في ميدان ثقافة الطفل تُؤدّي الدّورَ المطلوبَ منها في توعية المجتمع وإرشاده حيالَ ما يفورُ به واقعُ النشر للطفل من منشورات.

إنّ المسؤوليّة أصبحت مُضاعفةً جدّاً فيما يخصُّ التعاطي مع منشورات الطفل عامّة، ولا سيّما أنّنا هُنا نتعاطى مع أهمّ شريحة في المجتمع، ألا وهي شريحةُ الأطفال، والنتائجُ ستكونُ كارثيّةً على ثقافة أطفالنا فيما لو استمرّ الأمرُ على ما هو عليه من فوضى واستسهال وتجارة غير منضبطة ودسّ السم بالدسم فيما يخصُّ ثقافة الطفل، وتنحصرُ هذه المسؤوليّةُ بالأسرة أوّلاً، مروراً بالمدرسة، وانتهاءً بمُؤسّسات الدولة ككُلّ، في مُحاولة ضبط هذا السّيل العارم من المنشورات المُوجّهة إلى أطفالنا وإنقاذ ما يُمكنُ إنقاذُه في زمانٍ استهلاكيّ أصبحَ فيهِ الطّفلُ في حدّ ذاتِه سلعةً يُتاجَرُ بها من وُجوهٍ وأشكالٍ عدّة.

هل تغيرت صورة أميركا؟

مها محفوض محمد

الوحش العنصري في أميركا لايخفى على أحد أبداً، حتى الحلفاء ذات يوم قالوا إنها اميركا المتوحشة، فرنسا القابعة في حضن التبعية عرت عام ٢٠٠٦م عنصرية أميركا في معرض للصور، إليكم ما كتبته لوموند عن أميركا، فهل تغير الحال..؟

مهرجان للصورة في بيربنيان (فرنسا) أهم الصور التي تصدرت عروض المهرجان هي عن العنف، كما أبرزت أشهر المصورين الصحفيين لتلك الحروب.

غرين: المصور الصحفي الأميركي يرسم من خلال ما يقدمه في المعرض صورة لأميركا، غرين البالغ من العمر سبعة وخمسين عاماً له باع طويل في تصوير الحروب وأكثر ما جاءت شهرته من الشيشان حيث ذهب إلى هناك أكثر من عشرين مرة.. كما يقدم في هذا المهرجان عرضاً خاصاً بالعراق وآخر حول اعصار كاترينا بالاشتراك مع مصورين آخرين وهما موضوعان يخصان أميركا التي غادرها منذ عشرين عاماً يقول غرين : لقد أتاح لي العمل اثناء إعصار كاترينا تسليط الضوء على عنصرية الولايات المتحدة، إن العنصرية في بلدنا كالوحش النائم يمكن ان يستيقظ في اي لحظة ولأدنى سبب، لقد عشناها في كاترينا وشاهدنا بأعيننا الظلم الذي لحق بالأميركيين الزنوج حيث بلغت وقاحة السلطات الأميركية أنه لم يكن هدفها إعادة الناس الى منازلهم بل إعادة بناء ولاية جديدة بيضاء، مربحة علماً أن هذه المدينة قامت على اكتاف العبيد، فبعد الإعصار بدأ المستثمرون يبحثون عن اصحاب المنازل المهدمة ليشتروها بأسعار زهيدة وبذلك تمت أكبر عملية سلب ونهب، لقد كانت المدينة تغص بالحواجز الأمنية وقوات الشرطة والمخابرات السرية الخاصة مثل (بلاك ووتر) الذين منعونا من الدخول إلى الأحياء المنكوبة الأكثر فقرًا والتي كانت هدفاً للمنافسة العقارية.. هؤلاء المستثمرون يديرون أمورهم دون إبلاغ الطرف الآخر بل باستخفاف واستهزاء وللعلم فإن هذه الشركة ذاتها تستثمر في العراق لحساب آلبيرتون، إنها شركة رامسفيلد.

ومن الحرب في العراق يتم عرض العديد من الصور التي التقطها غرين ايضاً يقول :

التقطت العديد من الصور في الفلوجة بعد عام من عملية (عاصفة الصحراء) في العراق والتي كانت قوات التحالف تزعم أن هدفها نشر الديمقراطية هناك لكن ما رأيناه في الفلوجة ولادة الحقد وغليان العنف بدلاً من الديمقراطية، فإن تصوب بندقية إلى شخص وتقتله هي صورة نراها في الحرب لكن أن تمنعه من الخروج من سيارة تحترق حتى يتفحم فيها ثم تلقي بجثته من فوق أي جسر فهذا حقيقة تؤدي بك الى صدمة وانكسار داخلي كما حصل معي.

أما الحرب على فيتنام فقد احتلت صورها مساحات كبيرة في المهرجان صور الجثث المتلاحمة في أرض المعركة ليعود الزمن أربعين عاماً الى الوراء، ومن أهمها الصور التي التقطها المصور الفرنسي هنري هيت وغالباً كانت بالأسود والأبيض لكنها واضحة تماماً ترينا اقرب المناطق الى المعركة والمدنيين الذين استولى عليهم الرعب والاضطراب والسفن البحرية التي غاصت في الوحل وسط الجثث ومن الصور التي نالت جوائز صورة طبيب داخل حفرة موحلة مصاب ضمد رأسه بالكامل ما عدا عينيه ويحاول الخروج لمداواة جرحى آخرين.

لقد أمضى هنري خمسة عشر عاماً في تصوير الحروب وكان ذهابه الى الحرب عادياً كذهابنا اليومي الى مكاتبنا واخيراً قتل في حادث تحطم طائرة مع ثلاثة مصورين آخرين.

الصور التي التقطها هنري في فيتنام هامة ومؤثرة جداً ولم نشهد مثلها في الحروب اللاحقة لأنه لم يستطع مصور من الوصول إلى أرض معركة كما استطاع المصورون في فيتنام لقد نقلوا لنا حتى كيف كانت تلقى الجثث في الحفر وتردم.

المصور ديكي شابيل زار المعرض وعبر بكثير من الانزعاج قائلاً : كان العسكريون يسمحون لنا بممارسة عملنا شرط التقيد بالكثير من مطالبهم فمثلاً ممنوع تصوير التحضير للعمليات العسكرية وتصوير مشاهد القتل الفظيعة.

لقد كان لحرب هنري هيت أهمية كبيرة في تاريخ الصورة في تلك الحقبة، إذ استطاعت أن تغير طريقة الأميركيين في رؤيتهم للحرب ومع ذلك فإن علماء الاجتماع اليوم يشككون ما إذا كان للإعلام تأثير على الرأي العام الاميركي وإن كانت الصورة قد هزته فعلاً.

لكن دون شك للتصوير الصحفي أهميته البالغة والصحفيون الشباب يتوقون اليوم إلى العمل النزيه في الحرب ومن الحقائق التي نراها في صور هنري وغرين نستطيع القول إن العالم ليس سوداوياً إلى هذا الحد.

وتر الكلام

حكايا خرافية..!

سعاد زاهر

حين كنا نسمعها في تلك الظلمة الإرادية ونحن نغفو بأمان على سرائرنا الطفولية، ساهمت في تنمية انشغالاتنا وملأت أذهاننا بخيال لا يخبو، تخيلاتنا لجمال سندريلا وقسوة زوجة والدها، شكل مصباح علاء الدين السحري، كان يتحول وفقاً لأحلامنا، حتى أننا أحببنا الوحش لأنه أحب الجميلة...

بين طفل اليوم والأمس...لا تجوز المقارنة، بين بضع حكايا تتردد في كل الأوقات تختلف تنويعاتها بين راو وآخر، وبين تلك الشاشات اللامعة التي بالكاد يتركها أطفال اليوم، عوالم وأزمان لا تشبه أوقاتاً مضت.

في احتفالنا باليوم العالمي لكتاب الطفل الذي يصادف الثاني من نيسان كل عام، لا يبدو مجدياً التذكير بأهمية الكتاب، ولا بضرورة استمراريته، جميعنا يعلم ذلك، ولكن المهم كيف نتمكن من اختراق عوالم الطفل، تعويده على القراءة والاستمرار بها.

إذا أن الوعي يشق طريقه باكراً إلى الطفل، ومن سوى القراءة بإمكانها تعميق هذا الوعي وتعليمه مستقبلاً على اختيارات تفضي به إلى دروب الحياة الحقيقية من بابها الأوسع..

بالكتاب والقراءة نحمي الطفل من كل تلك الدروب الشائكة التي يمكن أن تودي به يوماً، نحميه من كل ما من شأنه إرباك مسيرته، وزج الصعاب في وجهه بما لا يترك لها مجالاً للانزياح..

ستبقى الكتب سواء بأوراقها، أو انتقالها إلى الشاشة، تفضي بالطفل إلى عوالم مهما أظلمت، القارئ منذ الصغر يراوغها وبإمكان حيله التغلب عليها...!

من العالم

إدغار موران: مازلت أتعلم

هي تجارب يجب أن يطلع عليها المثقف العربي أينما كان وكيفما كان حاله، ولاسيما أولئك الذين يدعوم أنهم ختموا العلم بلا حدود، إدغار موران فيلسوف فرنسي وصل المئة من عمره، بمناسبة عيد ميلاده الماضي كان هذا الحوار معه، والذي ترجمه إلى العربية يحيى موالي، ونشرته مجلة الدوحة.

في شهر /أيلول عام ٢٠٢١م عاد «إدغار موران» للتو من «الدوامة الإعلامية» الخاصة بعيد ميلاده المئة، بعد أن قام بجولة على بلاتوهات التليفزيون والإذاعة مستجيباً دون توقف لزميلاتنا الصحافيات وزملائنا الصحافيين، كان استقباله لنا عبر تقنية التناظر الرّقمي، حيث يخلد إلى الراحة منذ بضعة أسابيع.. وآخر كُتبه الصادر في أوائل هذه السنة والذي يحمل عنوان: «دروس قرن من الحياة»(٢٠٢١). وهو الكتاب الذي سبق له أن أثار الكثير من الدعوات، فَضّل المُفكّر وَصْلها بـ«احتفاليات» إتمامه سن المئة سنة، وهو الآن يتفادى كل طلب لإجراء حوار معه، لكنه وافق على استثناء دعوة مجلة «العلوم الإنسانية»؛ لأن الروابط بينه وبين هيئتها قوية جداً، إذْ كانت صورته على غلاف عددها الأول سنة ١٩٩٠، ليصير فيما بعد «جون فرنسوا دورتييه»، مؤسّسُ المجلة، صديقاً له، و قد رافقنا «إدغار موران» لأكثر من ثلاثين سنة.

«ليكن مفهوماً بأنني لا أعطي دروساً لأحد» بهذه العبارة يفتتح «موران» الدروس التي استفادها من حياة غطت مساحة قرن من الزمن.. وهي بدورها دروسٌ لا وجود لشيء قطعي فيها؛ فهو يعيد في هذا الكتاب رسم الملامح الكبرى لمغامرته الفكرية، مقدّماً لنا ما استخلصه من وجود بلغ قرناً من الزمان في هذه الدنيا موجزاً آفاق مستقبلية لأجل الإنسانية.

الربط بين المعارف من أجل التفكير في التعقيد الإنساني، ذاك هو البرنامج الذي وضع «إدغار موران» تَحقيقَهُ نُصب عينيه، وها هو الآن بعد أن بلغ عمرُهُ قرناً من الزمن يحكي لمجلة «علوم إنسانية» مساره ومعاركه وانشغالاته وما يعقده من آمال على المُستقبل.

ما يميّز الفكر المُركّب أيضاً هو خاصية اللّايقين التي تطبع المعرفة العلمية، وقد وضع وباء (كوفيد) هذا اللّايقين في قلب المُجتمع، فما هي نظرتكم إلى هذه الأزمة؟

- لقد أدى وباء (كوفيد) إلى أزمة عالمية متعدّدة الأبعاد؛ إذ شكّل عاملاً جديداً للهشاشة واللّايقين والقلق، بحيث كنا نحصي موتانا كل يوم، وما يسود اليوم من أفكار يحاول وضع مستقبل الإنسانية داخل حدود واضحة، مع إزاحته في نفس الوقت للايقينيات، غير أن أزمة (كوفيد) عملت على كشف تموجات الحياة بصور أكثر وضوحاً، ما جعل استقرارنا يختل ويرتج، فكيف يمكننا العيش مع تنبؤات لا يتعدّى مداها أسبوعان أو ثلاثة أسابيع؟ كيف نعيش فزعين خائفين من حَجَر صحيّ مفاجئ؟ هل يلزمنا التفكير في حدوث تحسُّن أم على العكس من ذلك في وقوع تراجع وارتكاس في الأمد المنظور؟.

لقد كرّستُ خمسين سنة من عمري لبلورة سبيل في الأجزاء السّتة المُكوّنة لكتاب المنهج، غير أن ضرورة إحداث التغيير لم تفهمها الغالبية العظمى من السياسيين والاقتصاديين والتقنوقراطيين والمقاولين، فما الذي نجده في مواجهة رأسمالية نَزَاعة إلى الهيمنة ازدادت قوّتُها حدّةً خلال الوباء؟ إن ما نجده هو أشْكالُ وعي مشتّتة وصورُ تمرُّدٍ يتمُّ قمعها وجمعيات تضامنية، والقليل من الاقتصاد الاجتماعي والتضامني، لكننا لا نعثر على أي ثورة سياسية متماسكة ممتلكة لفكر مُوجّه.

إن الفكر المُركّب يواجه اللّايقين باستمرار، فلمّا تمّ سؤالي عن موضوع الوباء، حاولت أن أجيب عن أشكال القلق وصوره، معيداً التأكيد بأن المُغامرة الإنسانية، فردية كانت أو جماعية، هي دائماً مغامرةُ يشوبُها اللّايقين وتحفُّها المخاطر، وفضلاً عن ذلك نجدُ أن الخاصية العالمية لهذه الأزمة قد قوّت من فكرة وحدة المصير، التي لا نكون على وعي بها دائماً، لكنها حقيقية بكل تأكيد، كما أن لنا حاجةً هائلةً للأمل، لأنها تشكّل ثابتاً إنسانياً، لا سيما في تلك الفترات التي يعصف بها عدم الاستقرار؛ فعندما كنت في صفوف المُقاومة، كنا نعتقد بأنّ عالماً جديداً سيُولد لا محالة من جوف كل تلك الأهوال المُخيفة، قد تكون تلك الآمال مجرّد أوهام، لكنها لا تنفكّ تولد من جديد وتنْبعثُ لدى الكائنات الإنسانية، ومعها يولد أملُنا في مستقبل أفضل.

مقاوم وشيوعي ومعارض للستالينية ومدافع عن القضية الفلسطينية ومن أنصار البيئة.

لقد اقترنت تباعاً بالعديد من القضايا السياسية، فأي نظرة تلقيها استرجاعياً على مسارك السياسي؟

- لقد انبثقت السياسة في فكري وأنا لا زالت في الثالثة عشرة من عمري، عقب المظاهرة المناهضة للبرلمان بتاريخ ٦ فبراير/شباط ١٩٣٤، حيث رأيت زملائي في الصف الدراسي يعارض بعضهم بعضاً بعنف، ولأنني لم أكن أمتلك أي قناعة مسبقة بخصوص هذا الموضوع، فقد تبنّيْت موقفاً شكّياً وأنا أعاينُ الانقسامات التي أحدثها الحدث، ثم كوّنْتُ بعد ذلك ثقافتي الخاصة التي تدمج من جهة الثقافة الفرنسية التقليدية ذات النزعة الإنسانية، «مونتاني» و«رومان رولان Romain Rolland»، ومن جهة أخرى النزعة الإنسانية الروسية لـ«ليون تولستوي»، وعلى الخصوص لـ«فيودور دوستويفسكي»، كما أن حياتي تبقى موسومة بنوع من الاستمرارية، فمرحلتي الشيوعية هي فترة بين قوسين مكوّنة من سنوات تلت مراهقة منفتحة إلى أقصى حدّ ومأساوية، فقد انخرطت في أيديولوجيا الكفاح وفي ضرب من الإيمان والدين المُتمحور حول الخلاص الأرضي.. وعلى إثر غزو الاتحاد السوفياتي من قبل «فيرماخت Wehrmacht» (القوات المسلحة المُوحّدَة لألمانيا)، انتقلت من كوني معارضاً لستالين إلى كوني شيوعياً.. وبعدما كنت داعية سلم صرتُ مقاوماً، وقد كان ذلك بمدينة «تولوز». يمكنني القول بأن المُقاومة قد تخطّت الإيمان الشيوعي والحركية الديجولية لتشكّل فرصة أمامنا كي نعيش بصورة مكثّفة.. ولئن كنتُ قد ندمت تماماً عن ما كان بي من عَمَى بخصوص طبيعة الشيوعية السوفياتية، فلا يمكنني القول بأن المرحلة الشيوعية من تطوُّري قد مثّلت حظاً سيئاً لأنها أتاحت لي فيما بعد فَهم التوتاليتارية، ثمّ مع صديقين فيلسوفين، هما «كلود لوفور» و«كورنيليوس كاستور ياديس»، اجترحنا مسارنا الخاص فيما وراء الماركسية، وما تعلّمته من ذلك هو أننا عبثاً نؤمن بأننا مسلّحُون باليقينيات والبرامج، وأنه من الواجب علينا، في المُقابل، أن نتعلّم بأن كل حياة هي إبحار وسط محيط من اللّايقينيات، تتخلّلُهُ بعض الجزر والأرخبيلات التي تمثلها اليقينيات، حيث نَتزوّد بما يقوّينا على المزيد من المسير.. وأريد في هذا المقام الإشارةَ إلى أن أحد الدروس الكبرى التي استفدْتُها من حياتي هو توقُّفي عن الاعتقاد في ديمومة الحاضر واتصالية الصيرورة وقابلية المُستقبل لأن يكون موضوع تنبؤ.

منذ أن غادرت الحزب الشيوعي صرتُ مستقلاً عن كلّ منطق حزبي في السياسة؛ فأنا دائم التّلْمَذة، أستدمجُ معارف جديدة داخل فكر يزداد تعقيداً وتركيباً، دون أن يفقد تماسكه. إن الفكر المُركّب فكر تكاملي يضيف الأفكار وفي نهاية الستينيات وبداية السبعينيات من القرن العشرين، عندما كنت أغوص بصورة مثمرة في عالم الهيبيز بكاليفورنيا، اكتشفت المُشكلة الإيكولوجية، ولم أجد أدنى مشكل في أن أدمجها داخل تصوُّري للكائن الإنساني، فمنذئذ كنت أفكر في نوعنا بوصفه مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً ببيئته، وهي الموضوعة التي صارت تحتل اليوم مركز الانشغالات، بحيث صار مستقبل النوع الإنساني يمثل رهاناً سياسياً أساسياً لحقبتنا، أعتقد أن سبيلاً آخر ممكن فيما وراء الليبرالية الجديدة لكي يتمّ إدماج البيئة بصورة أفضل.. وما يوجد من منظورات، كما هو الحال بالنسبة للنزعة التقنية العلمية والنزعة المابعد إنسانية، ليس كافياً بحدّ ذاته كي يجيب عن التساؤلات المطروحة، لأن الكائن الإنساني المُزيّد سيكون دائماً في حاجة إلى ربط علاقات، وإلى المُشاركة الاجتماعية والأخوة.

هل أنت متشائم بخصوص مستقبل الإنسانية؟

- الأحرى أن أصف نفسي باليقظ وحتى بالحذر وليس بالمُتشائم؛ ذلك أن الفكر يذهب إلى ماوراء التعارض بين متشائم ومتفائل، أعتقد أن التيارات السائدة، تلك التي نسمعها في وسائل الإعلام أو نقرأها في آخر ما نُشر من كتب، تجنح نحو النزعة التشاؤمية. فما عاينته هو تلاشي الوُد الذي كان سائداً إبان فترة مراهقتي في السنوات التي سبقت الحرب؛ أقصدُ علاقات الود الحارة بين الجيران، والمحادثات في المقاهي الصغيرة وعلى مَتن الميترو كما أن حشود المُتفرّجين قد تقلّصت إلى أقصى الحدود، إن تدهور جودة العيش يعود إلى أولوية الكمي في تنظيم مجتمعنا وقيادته، حيث صرْنَا نحسب ونقيس كل ما هو إنساني؛ فلكي نَحكُم صرنا نثمّنُ ونعطي قيمة أكبر للناتج الداخلي الخام (PIB) وللإحصائيات ولاستطلاعات الرأي، مما جَعل بَصرنا ينقلب إلينا خاسئاً وهو حسير حين يرتبط الأمر بكل ما هو فردي، ذاتي وشخصي.. إن عقلاً محضاً وبارداً هو في ذات الوقت عقل لا إنساني ولا عقلاني؛ لأن العيش فنٌ صعب وعسير يجب أن يراقب فيه العقل كل انفعال حتى لا نستسلم للحيرة والضلال ولكن فيه كل عقل تحرّكُهُ وتُنَشّطُه العاطفة والشغف، وهو ما يميل عالمنا التقنوقراطي إلى نسيانه، لكن بالرغم من كل شيء تبقى هناك إمكانية لتغيير السبيل.. إن الكثير من الاحتجاجات الراهنة كما هو الشأن بالنسبة لحركة السترات الصفراء ينطوي على حاجة ماسة لمَنْ يشاركون فيها إلى أن يتمّ الاعتراف بهم بكل ما تَسَعُه خاصيّتهم بوصفهم كائنات إنسانية من معنى.. أعتقد في أثر «إيفان إيلتش»، أن الودّ وحُسن المُعاملة عنصرٌ أساسي في جودة الحياة، وسبيل خصب للإنسانية، لأنه يسمح بالاستجابة يومياً لحاجتنا إلى الاعتراف.

كيف ترى مستقبلك الخاص؟

- لقد عثرت على سبيلي منذ سن الثامنة عشرة، بألّا أنقطع عن البحث في الأسئلة الكبرى التي طرحها «كانط»: ماذا يمكنني أن أعرف؟ ما الذي يجب عليّ فعله؟ ما المتاح لي أن آمله؟ وحتّى الآن سرت في هذه الوجهة، وأنا في عمر المئة عام، مستقبلي هو أن أعيش لأسبوع! حينما يُطلب إليّ إلقاء محاضرة أو إجراء مقابلة، أرفض أن ألتزم مسبقاً لأكثر من أسبوعين أو ثلاثة أسابيع؛ ففي هذه السن لم تعد لي مشاريع كبيرة..اعتباراً لذلك أواصل التفكير والتأمل ومحاولة الإجابة عن أسئلتي الكبرى، آخذاً نقطاً ورؤوس أقلام، كما أكتب شذرات أنشرها أحياناً على حسابي على موقع تويتر، وأنا لا زلت أظن بأنني سأكتب على الورق تأملات قصيرة ففي هذه اللحظة مثلاً، ألهمتني موضوعة الأمة.. إن أنشطتي الفكرية تتواصل بصورة طبيعية، غير أنني ما عدت أخطّط بتاتاً لكتابة كتاب؛ فكتاب «دروس قرن من الحياة» هو آخر كتاب من كتبي الكبيرة الحجم.

- ما زلت أغذّي فكري من مجلة العلوم الإنسانية، التي أجدها مجلة غنية جداً، فأنا أستدمج الكثير مما أقرأه على صفحاتها، فضلاً عن أنني أجد نفسي في مفهوم «علم الإنسانية humanologie» الذي تمّ تطويره مؤخراً من طرف «جون فرنسوا دورتييه» (مؤسس المجلة)؛ لأنني أقوم بالربط بين المعارف الإنسانية بحثاً عن فهم تعقيد الكائنات الإنسانية.

حبر أخضر

ويبقى الوطن فوق الجميع..

كوليت خوري : كثيرون لايشبهون أبي

هل حلمت يوماً ما، لو أنك التقيت هذا الكاتب أو ذاك وأنت تستحضر كلك وتتأهب لقراءة إبداعه؟ أحمد رامي الشاعر المصري الذي أثرى مسيرة أم كلثوم بالروائع، كان كما صرح ذات يوم يتهيأ كما لو أنه في معبد ليستمع أم كلثوم، الصديقة والحب المؤجل فهل يليق بقارىء ألا يكون من وضوء الحرف والنفس وهو يدخل بستان كوليت خوري وسليمان العيسى ونزار قباني وبدوي الجبل ويركن بخشوع في معبد جبران خليل جبران والناسك نعيمة؟.

كوليت خوري سيدة الحرف الأنيق المعطر بطهر الوطن، كما أسلفت ذات يوم هنا اتفقنا على حوار منذ عام ٢٠٠٣م، وها أنا أعد حواراً ثانياً معها مع عبقها لكن ليس وجها لوجه، إنما مع كتاب دونت لي عليه شهادة تقدير أعتز بها، كان ذلك عام ٢٠١٠م ومما جاء في التقدير الإهداء قولها : في رأيي الصحافة والأدب مجالان مترابطان تمام الارتباط، لكنهما موهبتان مختلفتان أيضاً تمام الاختلاف، والجمع بينهما موهبة بحد ذاتها فإليك مع أصفى مودتي إعجابي بموهبتك الثالثة) ٢٠١٠/١٠/٢٧م.

مرت سبع عجاف على سورية منذ هذه الكلمات الخضراء، ولكن الكتاب لم يكن خارج جرح الناس وكبرياء الوطن، عنوان سهل ممتنع (ويبقى الوطن فوق الجميع، مجموعة مقالات حول العدوان على العراق - سورية ولبنان في الزمن الصعب تبحر مع سندس الكلمة، وتردد مع بدوي الجبل : يا شاكياً زور وعدي أحلى من الوصل وعدي ...

التقيت أستاذتنا بعد وعد الحوار مرات ومرات، نهلنا من ينبوع أدبها ولكني كنت أتهيب أن أطرح الأسئلة عليها ذات يوم كنت بزيارة شاعرنا الراحل سليمان العيسى، وذكرته بما كتبته كوليت خوري عنه وعن الملكة (وعند سليمان ملكة) فيرد هي إعجاز البلاغة وثراء المعنى، عنوان سيبقى خالداً....

ويبقى الوطن فوق الجميع ليس كتاباً عابراً ولا عادياً، إنما هو نقش بالضوء على حبر العيون نقش على صفحات الوطن التي أهملها الجميع وتغنوا بالوطن (اسما وحالات) بلا فعل ولا عمل زرقاء اليمامة تقرع جرس الإنذار ولكن متى كان الكثيرون يصغون إلى ما يقوله حبر القلب والمبدعين ..؟.

فقدت الكتاب سنوات و ظل بعيداً عني..لا أعرف أين صار بمكتبتي التي تحتاج الى ترتيب.. صحيح أن المريمين (مريم ومايا) تحتفيان بالكتاب وتقولان لي: جدو نحن سنرتب المكتبة، وتضحك جدتهما (لايصلح العطار ما أفسد الدهر ....)

وأسألها : هل تعرفين الشطر الأول من البيت ؟

ترد نعم : الم تخبرني به حين عرفته أنت ؟.

نعم: تدس إلى العطار سلعة أهلها ... وهل يصلح العطار ما أفسد الدهرُ؟.

عثرت على الكتاب أمس بركن خلفي قرب ديوان بدوي الجبل، وكم كانت فرحتي كبيرة لأن جزءاً غالياً من حبر الوطن المعمد بالطهر عاد ليكون رفيق الدرب، فثمة أعمال لا يمكن أن تتركها لزمن بعيد، تعود إليها كلما شعرت أن فضاءك قد ضاق (لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها لكن أخلاق الرجال تضيق).

اتسعت مساحة الأمل..غدت على مقربة من ربيع يبدو بهياً.. الوطن الذي هو فوق الجميع.. أمس كان بالفرح الغامر حين بترت اليد الصهيونية، وبهذه المناسبة أريق كلام كثير، تحليل وآراء و لكن الخلود للفعل ولنص إبداعي يخلده و لفعل ثقافي لا إلى لغو من نواسخ الشابكة، على مقربة من هذا المعنى كنت دائماً وأبداً على قناعة تامة أن الصحافة بدأت وأثمرت أدبياً وفكرياً ولن تكون غير ذلك، فلن ينتظرنا أحد ما ليقرأ ما يجري من أحداث هو يرى الحدث ويتابعه، وكم سرني حين عرفت أن السيد وزير الإعلام الأستاذ عماد سارة قال ذلك لزملاء لنا أثناء جولته في جريدة الثورة، وقد يسأل أحد ما: ولماذا أنتم غارقون بغير ذلك .....؟

لكن الجواب ليس عندي هكذا الخطاب الإعلامي السوري غارق فيما لا يعنيه ولكننا نتلمس خطا التغيير والارتقاء، وهذا لن يكون بقرار إنما من فعل ذواتنا وتطوير مهاراتنا وأدواتنا نحن الصحفيين وبدعم يجب أن يكون .....

ويبقى الوطن فوق الجميع فاتحة الكتاب تقول (لو طلب إليك أن تختاري واحداً من الرجال الذين رحلوا عنا في القرن العشرين ليرافقك إلى القرن الجديد ... فمن تختارين من بين هؤلاء العظماء والأحياء والاصدقاء اللامعة ... وآه ما أكثرهم ... أولئك الذين لن يعبروا معنا جسر الألفية الثانية ....

ويسرح تفكيري ... كثيرون من الذين سيبقون في القرن العشرين من أصدقائي الاعزاء، وأتمنى لو أرافقهم كلهم إلى العالم الجديد .....ولكن .....فسأبدأ سنتي الجديدة بالكتابة عن أبي الذي ترك الأثر الأكبر في حياتي وقضيت عمري أقارن به الرجال فيسقط معظمهم في المقارنة، وآه يا أبي ..... إنسان القرن العشرين الحقيقي هو أبي ومن يشبه أبي ؟).هذا السؤال المر (آه يا وطن) ليتهم يعرفون أنك فوق الجميع وأن الكلام الأخضر لايموت، كوليت خوري لك التحية، للوطن رجال مثل أبيك وهم حماته و لكنهم نادرون، وفي المحن تظهر المعادن، ويبقى الوطن، يبقى الحرف وفي البدء كان الكلم .....

زاوية حادة..

دراما .. دراما

غسان شمه

كما جرت العادة تتحول الشاشة الصغيرة في شهر رمضان إلى معرض واسع ومائدة مفتوحة للأعمال الدرامية والبرامج المنوعة، فالمشاهد الذي يتيح له وقته، هذا الشهر، نوعاً من الفسحة والراحة والاسترخاء يميل إلى متابعة الدراما الرمضانية بإقبال لا نجد نظيراً له خارج هذا السباق الساخن لإرضاء ذائقة المشاهد الباحث عن المتعة والتسلية وإملاء وقته بحكايات مثيرة تتنوع بين البساطة والتركيب مع إضفاء لمحة فكرية أو ثقافية أو تاريخية هنا وهناك..

المسلسلات الرمضانية على شاشاتنا تتنوع، كما هي العادة، بين الأعمال الواقعية وأعمال البيئة التي درجت شركات الإنتاج على تقديمها بكثافة منذ سنوات ليست قليلة حين اكتشفت تعلق المشاهد بالحكاية والحكواتي والاستعراضات الطبيعية أو المجانية في ظل حدوتة مرسومة لمخاطبة أذواق متباينة، ويعود ذلك، باعتقادي، لسهولة عرضها على الشاشات العربية بمختلف أنواعها لبساطة موضوعاتها، وربما سذاجتها أحياناً، التي قد ترضي الكثير من المتابعين المتعلقين بالحكاية الشعبية والبطولات والعنتريات التي تثير المشاعر وترفع من حرارة الترقب والمتابعة، حيث تنتهي عموماً بشكل إيجابي يريح مشاعر المتابعين لكنها تقع أحياناً بمشكلات فنية وفكرية ..؟! ولا يخلو الأمر من حبكات وقصص، تشبه عمل الحكواتي، لإضفاء المزيد من الإثارة لجذب المشاهد المسترخي ..

وهناك بعض الأعمال الواقعية التي تتناول قضايا اجتماعية وإنسانية مستعرضة بعض المشكلات والأمراض التي تصيب المجتمع وفي قوالب فنية تتضمن الكثير من الوقائع التي قد تكون صادمة لكنها ليست غريبة أو مفاجئة، معتمدة حكاية فيها شيء من الإثارة التي تلعب دورها بجذب المشاهد أيضاً وتقوم، بشكلها العام، على العرض والاستعراض لوضع اليد على مكامن الوجع..

ولا ننس في هذا السياق العديد من البرامج المنوعة التي تنافس الأعمال الدرامية في محاولة لجذب المشاهد، وقد باتت تتحالف مع الكثير من الشراكات الاقتصادية لتحقيق أهداف عدة منها الدخول إلى المشاهد من باب الفوز والربح..

مائدة رمضانية فيها الكثير من الأعمال التي تحتاج إلى وقفات نقدية فكرية وفنية من المختصين..!

إيفا العباس: (حنين) معرضي الفردي الأول

سلام الفاضل

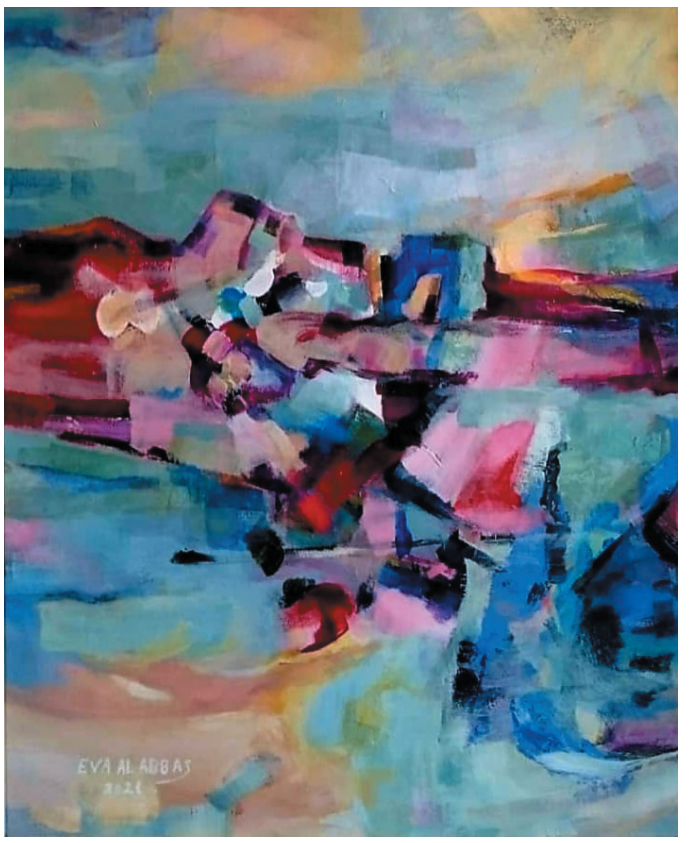

فنانة تشكيلية سورية، وعضو اتحاد الفنانين التشكيليين السوريين، تخرجت من كلية الفنون الجميلة (قسم الرسم والتصوير)- جامعة دمشق عام ١٩٩٦، وعملت مدرّسة في مركز الفنون التشكيلية في السويداء لسنوات عدة، ثم رئيسة قسم المعارض في المركز الثقافي العربي في السويداء. اشتركت في معارض سنوية جماعية عدة، منها: معرض (حواء السنوي الأول) في السويداء عام ٢٠١٦ - معرض (حواء السنوي الثاني) في دمشق عام ٢٠١٧، وملتقى التصوير الزيتي (التشكيل من وحي الأدب) في المركز الثقافي العربي في السويداء عام ٢٠١٨، ومعرض (الجولان في عيوننا)، ومعرض الخريف السنوي (أيام الفن التشكيلي السوري) عام ٢٠٢١، ومعرض (الفن... ثقافة، فكر، إبداع) في المركز الثقافي العربي في المزة عام ٢٠٢١، ومعرض (شموع السلام)في دمشق عام ٢٠٢١، وسواها الكثير... لتُقيم مؤخراً معرضها الفردي الأول، تحت عنوان (حنين) في صالة لؤي كيالي - الرواق العربي؛ إنها الفنانة التشكيلية «إيفا العباس» التي التقتها صحيفة (الثورة) في معرضها، وقلّبت معها صفحات من مشوارها الفني. البداية كانت من الإرهاصات الفنية الأولى التي خطّت فيها الفنانة إيفا العباس أول حروفها في كُرّاسة تجربتها الفنية، فقد حدّثتنا عن بدايات ظهور موهبتها في الرسم التي تعود إلى المراحل المبكرة من الطفولة، وتابعت: «في الحقيقة إن ولادتي التي جاءت في رحم بيئة فنية أثرت تجربتي، فوالدي هو الفنان التشكيلي، والناقد الفني جمال العباس، الذي أمدني بالتشجيع، والحماسة، وكان له الفضل الأبرز في ذلك، إلى جانب تأثّري بالعديد من الفنانين المحليين والعالميين، مما أسهم كثيراً في تكوين شخصيتي الفنية، ومن ثم تطورها، ونضوجها.. لتأتي لاحقاً مشاركاتي في المعارض الفنية التي كانت تُقام خلال مرحلتيّ الدراسة الإعدادية والثانوية، إلى أن توّجت هذا الشغف بأن التحقت بكلية الفنون الجميلة عام ١٩٩١، رغبةً مني في دراسة الفن دراسة أكاديمية، لأعيّن لاحقاً مدرّسة في مركز الفنون التشكيلية في السويداء، وتالياً رئيسة قسم المعارض في المركز الثقافي العربي في السويداء، إلى اليوم». وأضافت مبيّنة ما كان لعملها، كرئيسة قسم المعارض، من دور بارز في توسيع أفقها الفني، قائلة: «وقد أتاح لي عملي هذا في المركز الثقافي العربي في السويداء فرصة متابعة كلّ جديد من نتاجات وأعمال الفنانين المخضرمين والشباب ممن كانوا يزورن هذا المركز، أو يقيمون معارضهم فيه، إلى جانب تنظيمي عدداً من ملتقيات التصوير الزيتي التي يقيمها المركز سنوياً، مما أسهم بشكل فعّال في بلورة ذائقتي الفنية». وعن معرضها الذي أقيم تحت عنوان (حنين) في الرواق العربي - صالة لؤي كيالي، والأعمال الفنية التي ضمّها، أوضحت العباس: «(حنين) هو المعرض الفردي الأول لي، وهو يضم ٣١ عملاً فنياً بتقنية الأكريليك، والباسيل الزيتي، من نتاجات متنوعة وحديثة في معظمها، وقد توزعت النتاجات الحديثة بين عامي ٢٠٢١ - ٢٠٢٢، ومعظم هذه الأعمال تنتمي إلى المدرسة التعبيرية، والمدرسة التعبيرية/التجريدية». وأردفت: «وكلّ عمل منها هو تسجيل لحالة كنت أعيشها، كما أنه استنهاض لجملة تداعيات ومشاعر ومشاهدات تخرج إلى النور لتُجسّد على سطح اللوحة، مراعيةً في ذلك جماليات أبحث عنها سواء أكان من جهة اختيار الألوان، أم من جهة إعادة تشكيل مفردات الواقع، ضمن صياغة تشكيلية جميلة، تحمل بصمة فريدة... إضافة إلى أن معظم هذه الأعمال من نتاجاتي الفنية الحديثة التي أعتز بها كثيراً لما تمثّله من مرحلة نضج تجلّت في تجربتي الفنية، سواء من جهة اللون الذي بدا فيها أكثر حنكة وخبرة، أم من جهة التعامل مع هذا اللون». مشيرة إلى الانطباعات الجيدة التي خلّفها هذا المعرض لدى روّاده وزائريه من فنانين تشكيليين، ونقّاد، ومتذوقين أصيلين للفن، ممن أضفوا عليه جمالية إضافية، وأبدوا استحسانهم لما ضمه من لوحات وأعمال. وعند سؤالها عن أسباب اختيارها المدرسة التعبيرية، والمدرسة التعبيرية/التجريدية في الرسم، أجابت: «وصلت إلى اختيار هاتين المدرستين بعد دراستي الفن أكاديمياً في كلية الفنون الجميلة، إذ إنني وبعد تخرجي فيها، بدأت أعمالي تميل إلى التعبيرية، بمعنى أنه بدأت تُداخِلها مشاهد من الطبيعة، وعناصر ومفردات من المحيط، أنقلها برؤيتي وألواني الخاصين، ومشاعر وأحاسيس تندمج مع المحيط، لتخرج اللوحة بعد ذلك بخلاصة جديدة، ونكهة جديدة مغايرة للواقع... ولكن العمل الكثيف، مع مرور الوقت، قد يدفعني في أعمالي المستقبلية إلى العمل وفق أساليب فنية أخرى، ومدارس أخرى يقود إليها بالضرورة تراكم الخبرات». كما رأت عند مقاربة آلياتها الخاصة لتطوير أدواتها الفنية، والطقوس التي تلجأ إليها قبل الشروع في أي عمل: «إن أي فنان يحتاج عادة، قبل أن يُقدم على رسم أي لوحة، إلى لحظات من الهدوء والتأمل والخلوة، يُضاف إلى ذلك حاجته المستمرة، وسعيه الحثيث للبحث، والاطلاع على تجارب الآخرين، وزيارة المعارض... فأي عمل فني - برأيي - يحتاج إلى الجهد والاهتمام، والمتابعة والعمل بكثافة ليثمر، ويتطور». لتؤكد ختاماً عند التطرق للحديث عن المشهد التشكيلي السوري: «إنه مشهد غني، تتسع ساحته لفنانين كُثر، إلى جانب ما تشهده حركته، مؤخراً، من تطور مستمر، واهتمام واسع وملحوظ».

إيضاحات حول كلمتي عن بوشكين

ترجمة: ثائر زين الدين

من يوميات الكاتب: آب ١٨٨٠م - تأليف: فيودور دوستويفسكي

تشكلُ كلمتي عن بوشكين وأهميته - وهي المطبوعة أدناه - أساس محتوى العدد الحالي من « يوميات الكاتب» - «العدد الوحيد لعام ١٨٨٠، التي ألقيتها بتاريخ ٨ حزيران من هذا العام في الاجتماع الاحتفالي لجمعية محبي الأدب الروسي، والذي حضرهُ عدد كبير من الجمهور، وقد تركت هذه الكلمة انطباعاً حسناً، حيثُ أعلن إيفان سيرغيفيتش أكساكوف «وكان قد تحدث في الحفل عن نفسه قائلاً: إن الجميع يُعدونه زعيماً للنزعة السلافية»: إن كلمتي «تشكل حدثاً» إنني أذكر ذلك ليس بهدف مدح الذات ، بل كي أعلن الآتي: إن كانت كلمتي تشكّل حدثاً فعلاً، فذلك لسبب وحيد ، هو الذي دفعني لكتابة هذه المقدّمة.

أردت في كلمتي أن أنوّه بالنقاط الأربع الآتية وهي تحددُ أهمية بوشكين بالنسبة لروسيا.

أولاً:كان بوشكين أوّلَ من حللَ - بعقل عبقري ثاقب وقلب روسي نظيف - ظاهرة مثقفنا المنفصل عن أرضيّة المجتمع، مثقفنا الذي وضع نفسه فوق الشعب.

رسم أمامنا - بشكل بارز - النموذج الذي لا يثق بروسيا أو بنفسه «أي لا يثق بمجتمعه وحتى بطبقته المثقفة ذات المنشأ الطبيعي»، النموذج الرافض للعمل مع الآخرين والمعاني بنفسه.

إن آليكو وأنيغين خلقا - فيما بعد - عدداً كبيراً من أمثالهما في أعمالنا الأدبية . فظهر بعدهما : بتشورينا، تشتشكوفا، دودينا، واللوفرتسكيون، والبولكونسكيون «في الحرب والسلام: لليف تولستوي» وغيرهم ويُعَدُ ظهور هؤلاء دليلاً على صحة بداية الفكرة التي قدّمها بوشكين. فله، ولعقله وعبقريته السامية - التي اكتشفت أكثر القرحات مرضاً، وكانت قد برزت بعد إصلاحات بطرس - المجد والتحية. ونحنُ مدينون لهُ بتشخيصه الحاذق، وتعرفه إلى مرضنا وتحديده له، ولعلهُ أول من قدّم لنا السلوى حين بيّنَ أن هذا المرض ليس مميتاً، وأن المجتمع الروسي قادر على الشفاء منهُ، ومن ثمّ على التجدد والانبعاث من جديد إذا ما التصق بالحقيقة الشعبية.

ثانياً:إن بوشكين أول من قدّم النماذج الأدبية الساطعة للجمال الروسي، المنبعث من الروح الروسيّة، والطالع من الحقيقة الشعبية والأرض الروسية.

إن نماذج: تاتيانا، إينوك، ابنة الكابيتان، وغيرها مما برز في أشعارهِ وقصصه القصيرة وملاحظاته وعمله «تاريخ انتفاضة بوغاتشيف» ، تمثل الجمال الإيجابي للإنسان الروسي وروحه النبيلة. وهنا يجب أن نقول الحقيقة كلّها: إن هذا الجمال - يقول بوشكين - ليس موجوداً في حضارتنا ولا في التعليم الذي يسمى «أوروبيّاً» وما كان عندنا من قبل أبداً، ولا في الأشكال والأفكار الأوروبيّة الملقنة لنا من الخارج، لكنّهُ موجود فقط في الروح الشعبية وحدها. وبهذا أكرر: إن بوشكين بتحديده المرض قدّم لنا أملاً عظيما: «آمنوا بالروح الشعبيّة وانتظروا منها فحسب الانقاذ وستنقذون» لا يمكن أن تقرأ بوشكين دون أن تستنتج ذلك.

ثالثاً:الميزة المهمة التي أريد أيضاً أن أذكرها، وهي ميزة انفرد بها بوشكين دون سواه، تتمثل في مقدرتهِ على الاستجابة العالمية وتمثل عبقريات العالم وإعادة تجسيدها. فقد قلت في كلمتي إن هناك أدباءَ عباقرة وعظماء في أوروبا أمثال: شكسبير وسرفانتس وشيللر لكننا لا نرى عند أي منهم مثل هذه الخاصية. والمسألة ليست في الاستجابة فحسب، بل في إعادة التجسيد الكامل والرائع. هذه الخاصيّة مفهومة لكنني لم أستطع إلا أنّ أذكرها في تقييمي لبوشكين، لأنها ميزة خاصة تماماً بعبقريته وتخصهُ هو فحسب من بين الأدباء العالميين قاطبة. فقد تحدثت عن ذلك ليس بقصد الانتقاص من العبقريات الأوروبية العظيمة أمثال شكسبير وشيللر. والمجنون وحده يمكن أن يستنتج من كلامي مثل هذا الاستنتاج السخيف. ما من شك عندي في عالمية وعمق نماذج إنسان القبيلة الآرية ، «غير المدروس مسبقاً»، تلك النماذج التي قدّمها شكسبير. لكن لو أن شكسبير استطاع أن يبني شخصية عطيل كمغربي وليس إنكليزياً، لكان بذلك قد جعلهُ نسراً يمثل الطابع المحلي الوطني وأكسبهُ أهمية عالمية خاصة.

أكرر أنني ما أردت التعرّض لأهمية شكسبير أو شيللر العالمية، عندما حددتُ هذه الميزة العبقرية لبوشكين، أقصد قدرتهُ على تمثل وإعادة تجسيد عبقريات الأمم الأخرى، بل تمنيت فحسب أن أصف هذه الخاصيّة وكمالها وما تمثله من نبوءة...

رابعاً:إن العبقرية السابقة خاصية قومية روسية، يتقاسمها بوشكين مع شعبه كلّه، وهو كفنان عبقري، في الوقت نفسه معبر حقيقي عن هذه الخاصية في نشاطه وأعماله الأدبية. إن شعبنا بشكل خاص يحمل في روحه هذه النزعة العالمية أو الشموليّة للتسامح ، وقد أظهرها أكثر من مرّة على امتداد مئتي عام منذ إصلاحات بطرس.

لم أستطع في تحديدي السابق إلا أن أقدّمَ - من خلال هذه الحقيقة - السلوان العظيم لنا في مستقبلنا. والأهم من ذلك أنني حددتُ جوهر نزوعنا باتجاه أوروبا وهو ليس فحسب قانونياً وعقلانياً، بل يتطابق مع طموحات الروح الشعبية نفسها، ويمتلك في النهاية هدفاً سامياً . ربما لم أستطع في كلمتي الموجزة أن أطور فكرتي بشكل كامل لكن أتصور أن ما قلتهُ كان واضحاً. لا داعي للقلق أبداً بخصوص ما ذكرته «إن أرضنا الفقيرة يمكن أن تقول في النهاية كلمة جديدة للعالم» . من المضحك التأكيد أن علينا - قبل أن نقول كلمتنا الجديدة للعالم - أن نطور أنفسنا اقتصادياً وعلمياً ومدنياً، وحينها فقط يمكن أن نحلم بقول «كلمات جديدة».

قلتُ في كلمتي تلك إنني لا أحاول أن أساوي شعبنا الروسي بالشعوب الغربية فيما يتعلقُ بأمجادهم الاقتصادية والعلمية، لكنني أقول ببساطة: إن الروح الروسية، والعبقرية الروسية يمكن أن تكون أكثر قدرة على الاستيعاب في أعماقهما فكرةَ وحدة الإنسانية كلها والحبّ الأخوي ووجهة النظر العقلانية، التي تزيل التناقضات.

هذه ليست ميزة اقتصادية أو سواها من الميزات، لكنّها فقط ميزة أخلاقية.. فهل يمكن لأحد أن ينكر أو يجادل في مسألة وجودها لدى الشعب الروسي؟

وهل يمكن لأحد أن يقول :إن الشعب الروسي مجرد جماهير جامدة، مقدر لها أن «تخدم اقتصادياً» تطوير طبقتنا المثقفة الأوروبية، التي ترفعت عن شعبنا وأن هذا الشعب يشكل خمولاً ميتاً، لا يمكن انتظار أي شيء مهم منه، ولا يفترض أن تعلق عليه الآمال؟

آه، إن الكثيرين يؤكدون ذلك لكنني غامرتُ وأعلنتُ شيئاً مغايراً .

وأكررُ من جديد إنني لا أستطيع أن أثبت صحة الفانتازيا هذه مثلما عبرتُ سابقاً بكل الكمال والتفصيل - إلا أنني لم أستطع إلا التنويه بها - أما مسألة التأكيد أن أرضنا الفقيرة ليس من حقها حمل هذه الطموحات السامية قبل أن تصبح متطوّرة اقتصادياً ومدنياً مثل أوروبا، فهي سخيفة .

إن الأسس الأخلاقية لجوهر الروح غير مرتبطة بالقوة الاقتصادية.

إن أرضنا الفقيرة المضطربة - ما عدا الطبقة العليا - متراصة كشخص واحد.

وسكانها، السبعون مليوناً يشكلون وحدة روحية لا مثيل لها في أي مكان في أوروبا، وهذا يعني أن ليس بإمكانك عدّها مضطربة، وليس بإمكانك قطعياً اعتبارها فقيرة، وعلى العكس من ذلك فأوروبا التي تجمع فيها أعظم الثروات منخورة من ناحية الأسس المدنية الأخلاقية إلى درجة قد تجعلها تسقط غداً وتندثر وإلى الأبد. فيحل محلّها شيء جديد لم يسمع به من قبل . ولا يشبه شيئاً من القديم. وعليه فكلّ الثروات التي جمعتها أوروبا قد لا تنقذها من السقوط. حيثُ «ستختفي الثروة في لحظة واحدة» وعلى الرغم من ذلك فهم بالنسبة لشعبنا بمجتمعهم المدني الملوث والمنخور مثلٌ أعلى، علينا أن نسعى ونطمح للوصول إليه، وعند ذلك وبعد أن يصل شعبنا إلى ذلك المثل يمكن أن يتجرأ ويتلعثم بكلمة ما يقولها لأوروبا نحنُ من نؤكد أنه يمكن استيعاب وتحمل قوة الروح الموحدة والمحبّة في ظل الفقر الاقتصادي الحالي الذي نعاني منه، بلى حتى في ظروف أصعب يمكن حماية هذه الروح في ظلّ ظروف فقر مشابهة لغزو باتييف أو بعد الخراب الذي حل ببلادنا في الأزمنة الغامضة « حينَ أنقذت روسيا بالروح الشعبيّة الموّحدة للناس. أكرر أن هذه الخصائص الأربع حول أهمية بوشكين بالنسبة لنا بما تركته من انطباع حسن لا يعود الفضل فيه لي أنا، ولا لعبقرية الطرح بل لصدقها وصدق الحجج التي قامت عليها بغض النظر عن قصر وإيجاز مقالتي نفسها.

لكن اسمحوا لي أن أتساءل بماذا يتلخص ما أسماه إيفان سيرغي فيتش أكساكوف حدثاً؟، إن الأمر يتلخص في أن أصحاب النزعة السلافية أو ما يسمى«الحزب الروسي»، «يا إلهي قد أصبح لدينا حزب روسي!» قد أقدموا على خطوة جبارة باتجاه المصالحة مع المدافعين عن الغرب، فقد أعلن هؤلاء قانونية توجه المدافعين عن الغرب باتجاه أوروبا، وقانونية استنتاجاتهم المضخّمة والأكثر تطرفاً، وقد برروا هذه القانونية بأنه طموح شعبي روسي خالص، يتوافق مع الروح الشعبية وبرروا التضخيم أيضاً بأنه ضرورة تاريخية وقدر تاريخي ، واستناداً إلى ذلك وبحصر النتائج في وقت ما سيصبح أنصار الغرب مثلهم مثل الروس الحقيقيين تماماً ، قد خدموا أرضهم الروسية وطموحات أرواحهم، وأحبوا ترابهم الوطني بصدق ويمكن جداً أن يكونوا قد حافظوا بغيرة على هذا التراب وأهله من تلاعب «الروس القادمين من كوكب آخر».

وقد يعلن أخيراً أن سوء الفهم القائم بين كلا الحزبين والمهاترات التي دارت بينهما أمور لا معنى لها ونتاجة عن عدم فهم واحدهم الآخر. هذا على الأرجح ما يمكن أن نسميه «حدثاً»، إذ إن ممثلي النزعة السلافية كانوا قد وافقوا فوراً بعد كلمتي على كلّ الاستنتاجات الواردة فيها .

إنني أعلن الآن - وأعلنت ذلك من قبل في كلمتي - إن شرف هذه الخطوة الجديدة،إذا كان الشرف يشكّل الرغبة الصادقة في المصالحة، لا يعود لي فقط بل لكلّ أصحاب النزعة السلافية، ولكلّ توجهات «حزبنا» وروحه وهذا أمرٌ واضحٌ منذ البداية لأولئك الذين دخلوا دون غاياتٍ مسبقة إلى «النزعة السلافية» بل لعلّ الفكرة التي عبرتُ عنها في مقالتي كانوا قد عبّروا عنها لأكثر من مرة . أنا استطعت أن أقتنص اللحظة المناسبة فحسب.

وختاماً: إذا تقبل مناصرو الغرب استنتاجنا ووافقوا عليه، فمن الطبيعي أن يزول سوء الفهم القائم بين الحزبين في المستقبل، ولن يكون ثمة أمرٌ يختلفون عليه، لأن الأمور قد اتضحت الآن مثلما عبر إيفان سيرغي فيتش أكساكوف.

ومن وجهة النظر هذه يمكن لكلمتي عن بوشكين أن تصبح حدثاً. إلا أن هذه المفردة قد طرحت بهدف التضخيم والمبالغة فقط . إلى جانب أصحاب النزعة السلافية - الذين احتضنوني وشدوا على يدي - اقترب مني «أنصار الغرب» وصافحوني بعد نزولي عن المنبر مباشرة، وهؤلاء ليسوا مجرد أنصار، بل قياديون في هذا التيار وقد شدّوا على يدي بحرارة وعدّوا كلمتي ضرباً من العبقرية ... إنني لا أخشى أن يتراجعوا عن وصفهم هذا لأنني أعلم سلفاً أن ما قلته ليس عبقرياً، ولن يصيبني الغرور إطلاقاً لمديحهم .. ولهذا فأنا أرجو أن يخيب أملهم في عبقريتي. [.... سيقول أنصار الغرب بعد التفكير: لا تقلقوا نحن لا نريد استعباد شعبنا عندما نتحدث عن انصياع هذا الشعب، لا تستنتجوا ذلك من فضلكم نحن إنسانيون وأوروبيون وأنتم تعرفون ذلك جيداً ، إننا نريد أن نُعلم شعبنا القليل، على قدر ما يحتاجه تشييد مبنى ، ونريد أن نرفع مستواه، ونعمل على إعادة تشكيل القومية في قومية جديدة ، نحصل عليها بعد تعليمه والقضاء على أميته، وسنؤسسُ التعليم ونبدأ به بقوة، وهذا ما شرعنا به ... سنجبر هذا الشعب أن يتنسّم هواء أوروبا قليلاً، ونجعلهُ يشعر بالغيرة من أوروبا على أقل تعديل أن يستسيغ سبل معيشة شعوبها، وتقاليدهم ولباسهم وشرابهم ورقصهم - باختصار نجبره أن يخجل من لعبة المضرب وشراب الكفاس وبعض أغانيه القروية، على الرغم من أن معظمها رائع ويطرب بموسيقاه، ونجبره أن يغني «الفوديفيل المقفى» حتى ولو أزعجكم ذلك. باختصار لأجل هذا الهدف الصالح سنجد الوسائل الكثيرة الممكنة ونركز قبل كلّ شيء على الأوتار الضعيفة مثلما كان شأننا من قبل، وحينها سيخجل شعبنا من قديمه ويفكر به. من سيفكر بقديمه فهو معنا هذه هي المعادلة التي نعمل وفقها! سنفعل كلّ شيء كي نرفع مستوى عامتنا إلى مستوانا. وإذا رفضت هذه العامة ذلك وكانت غير قادرة على التعلم«سنتخلى عنها».

تلك العامة ستثبت حينها أنها ليست أكثر من جماهير بربرية، لا تستحق الاهتمام. ما العمل هنا؟ إن الحقيقة في مثقفينا وفي أوروبا فحسب، فحتى لو كان عندكم ثمانون مليون نسمة «فبماذا تفتخرون؟» يجب على هذه الملايين أن تخدم الحقيقة الأوروبية قبل كل شيء ، لأنه ما من خيار آخر ويتابع أنصار الغرب - إن عدد الملايين لا يخيفنا سنبقى نعمل وفق استنتاجنا الدقيق الذي أثبت صحته الآن. لا يمكننا أن نتقبل استنتاجاتكم وأن نحاوركم حول أشياء غريبة مثل«Le pravostavie» - «السلافية»، وحول الأهمية الخاصة التي تدعونها. نأمل ألا تطلبوا منا حتى هذا الأمر، لاسيما وقد أصبحت الكلمة الأخيرة لأوروبا والعلم الأوروبي الذي يفضي في النهاية إلى الإلحاد المتنور والإنساني، ونحن لا نستطيع إلا أن نسير مع أوروبا .

نحن نوافق على تقبل ذلك النصف من الكلمة التي ألقيتموها، والتي تضمن المديح لنا مع بعض التحفظات المعروفة... وسنقدم لكم هذا المعروف أما النصف الآخر الذي يتناولنا ويتناول كلّ بداياتكم تلك «معذرةً لا نستطيع أن نتقبله...».

هذا هو الاستنتاج المحزن الذي يمكن أن يكون - أكرر : أنا لستُ فحسب لا أتجرأ أن أضع مثل هذا الاستنتاج في أفواه أنصار الغرب أولئك الذين شدوا على يدي، لكن لا أتجرأ كذلك أن أضعه في أفواه الكثيرين جداً، والمتعلمين فينا من الشخصيات الروسية المعروفة، إضافةً إلى المواطنين الروس المحترمين والمقدرين.

لكن الجماهير ، هذه التي تتحدثون عنها يا أنصار الغرب، ما هي إلا جماهيركم وهي الوسط والشارع الذي نبتت ونمت فيه بتعاسة أفكاركم .

سيقول بعضكم - فيما يخص الإيمان - إنّ هدف النزعة السلافية هو إعادة تعميد أوروبا بالسلافية .. لكن لنترك كلّ ذلك جانباً ونعقد آمالنا على الممثلين القياديين للنزعة الأوروبية بينكم، فإن هم تقبلوا نصف استنتاجنا وآمالنا المقصورة عليهم ، فلهم منا التحية والتقدير وسنستقبلهم بقلب مبتهج حتى لو تقبلوا نصفاً واحداً ، أي أن يعترفوا باستقلالية الروح الروسية وخصوصيتها، وأن يتقبلوا قانونية وجودها وطموحها الموحد للإنسانية والمحب لها،حينها ... وحينها بالذات لن يبقى ما نتجادل حوله ... وحينها بالفعل قد تلعب كلمتي عن بوشكين دور التأسيس للحدث الجديد «مع أنها لا تستحق هذه التسمية» أما الاحتفال البوشكيني العظيم فسيشكل حدث وحدتنا... وحدة كل الناس الروس الحقيقيين والمتعلمين من أجل الهدف الرائع المستقبلي.

الوعي والانتماء للهوية القومية
بوابة العبور لمستقبل آمن

نبيل فوزات نوفل

ترافق ظهور الانتماء مع بداية ظهور الوجود الإنساني، فمنذ وجود الإنسان وجدت ظاهرة الانتماء، وتطورت عبر تاريخ المجتمعات البشرية، وشكلت بداية اجتماعية الإنسان وحبه للديمومة والبقاء.

ولقد تعرضت الشعوب والأمم الحية بشكل خاص لعمليات استهداف جذور الانتماء وقلعها أو طمسها وتشويهها،بهدف تضييع معالمه،ودفن مقوماته، من خلال خلق ظروف التجهيل، والجهالة، بهدف خلق نزوع معادٍ ومتناقض بين المنتمي وانتمائه نفسه، بهدف تحقيق فصل نهائي بين الانتماء والوعي ليفقد الانتماء جوهره الحقيقي الذي يصونه ويحميه تلازم الوعي والانتماء بصورة دائمة، والوعي المقصود تمليه ضرورات قومية وفكرية وسياسية، والانتماء لا يمكن إدراكه إلا بالوعي، لأن سلاح الوعي يحصن الانتماء وينميه ويحميه والانتماء كي يكون قومياً إنسانياً لا بد من إدراكه في الماضي والحاضر واستشراف مآله في المستقبل، وغياب الوعي يفقد الأمم شخصيتها القومية ويضعفها أمام الأعداء، لهذا نرى التلازم بين الوعي والانتماء، وأن أسبقية الوعي على الانتماء لا يعني إمكانية الاستغناء عنه فكلاهما ضروري للآخر وفي مقالنا سنوضح الرؤيا العصرية لوعي الهوية القومية، والعلاقة بين الوعي والانتماء والهوية، وأهميتهم في حياة الأمم وخاصة أمتنا العربية، ومقومات تحصين الهوية والانتماء.

ثانياً: رؤيا عصرية متقدمة لوعي الهوية القومية:

إن الوعي الصحيح للهوية القومية تجلى في الآتي:

١-»أن ننتمي لهوية لا يعني أن ننتمي لنظام سياسي»وهذا يعني أننا يمكننا الوقوف ضد النظام السياسي والتخلي عنه، إلا أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال التخلي عن القومية العربية والوقوف ضدها، لأنها هويتنا، وبالتالي الهوية شيء والنظام السياسي شيء آخر، وهذا يحتم علينا تفعيل البعد الاجتماعي في المشروع القومي العربي ؟لأن «القومية ليست فكرة نظرية وممارسة فقط، بل هي انتماء اجتماعي وحضاري،ا لأمر الذي يتطلب إطلاق حوار بناء مع الأطراف الأخرى التي لا تتبنى النهج نفسه، والسعي لاسترداد أولئك الذين وضعوا أنفسهم في مكان مناقض لانتمائهم الطبيعي ولمصالح وطنهم».

٢- العروبة مفهوم حضاري شامل لكل الأعراق والأديان والطوائف، وهي حالة حضارية ساهم فيها كل من تواجد في هذه المنطقة، وهي السمة المميزة والرابطة الحضارية لكل الذين عاشوا على الأرض العربية وتكلموا لغة واحدة، ووحدهم الوجود الواحد، والمصير المشترك والانتماء» والعقيدة الجامعة، كما الهوية هي العروبة، التي تتضمن مفاهيم الجنس والتجانس، والتاريخ المشترك، والعقد الاجتماعي والثقافي المتجدد، وروح المواكبة للعصر دون سلفية أو عصبية مقيتة أو تطرف أعمى.

٣-»أن نقبل بأوطاننا بحدودها الحالية لا يعني أن نقبل بتقسيم الهوية».وأن نتخلى عن انتمائنا القومي الموحد، لأن الأمة العربية رغم تاريخيتها ظاهرة قديمة جداً، قدم الأمة ذاتها، وهويتنا الثقافية القومية لا تتوقف في وجودها على قيام هذه الدولة، ولكنها قطعاً،ستكون هوية أقوى، وأقدر على الفعل عالمياً في حال قيام الوحدة.

٤-»غياب الانتماء لا مصلحة لأحد فيه»،لأن ضرب هذا الانتماء يعني ضرب خط الدفاع الأول الذي نمتلكه كمجتمع في وجه أي محاولات لغزو ثقافي أو فكري، يهدف إلى تحويلنا إلى مجرد آلات مسلوبة الإرادة» وعندما يغيب الانتماء الجامع يدفع بالبعض إلى البحث عن انتماءات تحميه ويرى فيها خلاصه.

٦- «القومية هي إنتاج وتطبيق، وليست حالة عاطفية أو انتماءً رومانسياً».أي <نه لابد للنظرية القومية من سمتين أساسيتين؛السمة الأولى:أن تكون مفاهيمها ومقولاتها الأساسية ثابتة في إطارها العام، لكنها تسمح باستيعاب التطور الحاصل في الواقع، والسمة الثانية:أن تكون النظرية ذاتها مهيأة للتطورالذاتي،أي أن تكون بعيدة عن الجمود والتعصب والادعاء باحتكار الحقيقة دفعة واحدة. وهذا ما يجعلها بعيدة عن الرومانسية وقابلة للتطبيق العملي، وكما هو معلوم إن هوية الأمة، هي حقيقتها المميزة لها، تتشكل من عنصرين أساسيين هما:نمط العلاقة الرابطة بين الأفراد، والمنطلق الأيديولوجي، الذي أنتج ذلك النمط. فهذان العنصران هما اللذان يعطيان لكل أمة حقيقتها التي تتميز بها عن الأمم الأخرى، ويمكن تشخيصها واقعياً وإدراك سيرورتها التاريخية والرؤية الموضوعية هي التي ترى أن الهوية حالة ديناميكية، ونزوع نحو الهدف، فالعربي ليس وجوداً جامداً، ولا هو ماهية ثابتة جاهزة، إنه هوية تتشكل وتصير، ولذلك فإن يكون الإنسان عربياً، وليس فقط مغربياً أو مصرياً أو عراقياً .الخ هو أن يكون عروبياً،أي نزوعاً نحو تعزيز الوحدة الثقافية العربية، القائمة بوحدة اقتصادية،ونوع من الوحدة السياسية.

٧-: لولا ضعف الانتماء القومي ولولا ضعف الشعور القومي لما تمكن هذا «الربيع» من الانطلاق في منطقتنا العربية،لأن جزءاً من شرائح أو شرائح من مجتمعاتنا العربية عبر الزمن، فقدت هذا الانتماء وكانت جاهزة للذهاب باتجاهات أخرى، فذهبت باتجاهين رئيسين في بدء الأحداث التي شهدها الوطن العربي عامة وسورية خاصة:إما الارتماء بأحضان الأجنبي، بغض النظر عن أي أجنبي كان أو الارتماء بأحضان التطرف الإسلامي باعتباره هوية بديلة عن الهوية، طبعاً هي مجرد هوية شاذة ومنحرفة لا علاقة لها بالإسلام ولا بأي دين سماوين.

٨- «فكرة القومية هي فكرة رابطة لكل عناصر المجتمع»فبمضمونها الواقعي تعني وحدة مصير الأمة العربية وتوجيه جميع إمكانيات الأمة العربية من أجل مواجهة هذه التحديات.

ثالثاً: العلاقة بين الوعي والانتماء والهوية

لم تعد مسألة الهوية مجرد قضية وجدانية، وإنما تتعلق بالوعي، والنضال ينقل وجود الأمة، من وجود في ذاته إلى وجود لذاته،وهذا يوجب تحلي القومية والفكر القومي بالتطورية، وهي حركية لها مضمونان متلازمان؛التقدم نحو الأمام والتطور والتجدد، وإيجاد مقولات أكثر اقتراباً من أرض الواقع، والمضمون الآخر هو الإرادة الإنسانية الخلاقة والحرة والمنظمة، كما يعدُّ الانتماء من أكثر المفاهيم ارتباطاً بالهوية على مختلف مستوياتها، وإذا تلاشت الهوية تلاشى الانتماء والعكس ليس صحيحاً، وهو يتكون قسرياً أو اختيارياً،ولا تكمن الخطورة في تعدد الانتماءات، بل في تنازع الولاءات على نحو يتعارض مع الانتماء المعلن، ولاسيما التعارض مع الانتماءات المعبرة عن الهوية، وهذا ما جعل تعدد الولاءات سبباً للتنازع داخل مجال الانتماء الواحد، والتنازع يغدو أكثر خطراً حين تتحالف القوى الحاكمة في بلد مع أعداء بلد آخر لتفتيته والتشكيك بعروبته، وحين تستقوي قوى محلية بالخارج، وكما نعلم فإن الانتماء أضيق في معناه من الولاء، فالفرد لا يحب وطنه ويضحي من أجله ويعمل لتقدمه إلا إذا كان مرتبطاً بهذا الوطن برباط مقدس هو الولاء.

رابعاً-العوامل التي تحصن الانتماء والولاء للهوية القومية من أهم العوامل التي تساهم في تحصين وتنمية الانتماء والولاء:

١-توفر الوعي الصائب والخلق القويم، والإرادة القوية، فبالوعي الصائب يدرك المنتمي حقيقة ما ينتمي إليه، وبالخلق القويم ينحاز إليه، وبالإرادة الصلبة ينجز ما عليه تجاه الانتماء، فكلما ازداد الوعي كان الانتماء أكثر وضوحاً، فالعلاقة عضوية بين الولاء والانتماء والوعي، كل منهما يؤثر بالآخر ويتأثر به، ويتم ذلك من خلال:المناهج التربوية والتعليمية في المراحل المختلفة، والمؤسسات المعنية بالثقافة من خلال التركيز على جملة من الثوابت والقيم وفي مقدمها: حقيقة كون العرب أمة واحدة ذات رسالة حضارية خالدة،عمرها آلاف السنين، وتمسك شبابنا في إبراز الأصول الحضارية العربية، والإيمان أن العروبة ذات امتداد تاريخي وثقافي واسع وكبير قديماً وحديثاً، فغاية تربية مجتمع المعرفة التي أجمعت عليها الآراء وهي تعلم لتعرف،وتعلم لتعمل وتعلم لتكون، وتعلم لتشارك الآخرين.

٢- إعادة إحياء أفكار العروبة كهوية وانتماء إرادي،والعمل على المثاقفة الوطنية والقومية وفق منهج تنموي متطور، يتخلص من التقليد والمحاكاة والتبعية، والقضاء على أي تفكير انفصالي،تحت أي مسمى كان عرقياً أم إقليمياً، أو طائفياً، واستدعاء مفهوم الأمة ليصبح عقيدتنا الجديدة، والمنارة التي نهتدي بها في تعاطينا مع قضايانا الوطنية والقومية.

٣- تحمل المثقفون مسؤولية تاريخية من خلال تجسيد الفكر النقدي الذي يتصف بالعقلانية العلمية، والقدرة على الخلق، وأن يكون استراتيجياً، ويمتلك القدرة على التحليل والتركيب: والتحلي بالواقعية المبدئية ما يؤدي إلى تعرية قوى التوحش الامبريالي ومرتزقتهم، فيظهرون بذلك مجابهتهم لشبح الفوضى التي تقوم بنشرها هذه القوى، وقواها التكفيرية الظلامية المبتذلة التي تهدد بقاءنا في هذا العالم، وفهم طبيعة ما يراد للأمة، وقراءة المشهد طولاً وعرضاً بل عمقاً، وتحديد من هو العدو الأكبر مهما دلس ونافق وتلون، وما أدواته للنيل منا،وهذا يتطلب فهم هويتنا ووعيها، ومكانة أمتنا في التاريخ والمستقبل، ومدى تنمية هذه الهوية وعلاقتها بوعينا الدقيق.

أيا ذياك الجمال

شهناز صبحي فاكوش

نتحسس الجمال في بسمة.. في نغمة.. أو شذا زهرة، أو حتى وريقة شجر نضرة، وقد يكون مختبئاً في زجاجة عطر.. أو ضحكة طفل.. في رقصة فرس أصيل.. أو صوت ناي.. في خرير ماء من غدير.. وربما في شروق أو غروب.. تراه مختبئاً داخلنا كما السعادة مكنون..

أبهى جمال ذاك الذي يُستقى من داخل النفس، من وجدان المرء حيث تتربع السعادة، وينتصر الخير على الشر.. من القلب ينبثق الحب، ومن العقل تستقيم الأخلاق، ومن كليهما تختل القيم.. يتدحرج الحسد من نعمة أحدهم جاهلاً ما فَقْدُ صاحب النعمة، فيرتمي الحاسد في هاوية الإساءة.

الجمال نعمة تجعل العاطفة تشذّب النفس، تبعدها عن الغرق في متاهة التيبس.. تاركاً مساحة للعقل تهدي القلب للاستقامة فلا ينحرف، أما الصمت ذاك الذهب الذي تعلمنا أبجديات حروفه حكمةً مدرسية قد ينقفل على آلام مبرحة، لا يشعر بعمق جرحها إلا المكلوم بها فلنحسن نوايانا.

الابتسامة التي ترتسم على الوجه، مرآة السعادة المكنونة في قلب المرء.. يمنحها للآخرين رغم الدموع التي يتجرعها في حلقه.. إيماناً منه بحقيقة أن كل ليل يعقبه نهار.. وأن الرزق يعرف صاحبه، وأن الخير يختبئ في تقويم محدد، أو لعله يتوارى خلف مصيبة فجرت حزناً فيمحوه.

علينا أن نتفهم أن أي سقوط لا يعني النهاية، فسقوط المطر بداية لمواسم خير وعطاء.. البسمة تزرع الفرح، وتمنح صاحبها الرضا والآخرين سعادة.. وإن صاحَبَتْها نصيحة تُقْبَلُ بحب، رغم أن النصيحة في هذا الزمان يضجر الناس منها، لكنهم ينصتون ويروجون للفضيحة..

ألَمُ المرء له وحده.. يجامله الآخرون في حينه.. يصحبه عمره، لكنه يتبدد عند الآخرين.. فلتكن ابتسامة المتألم هدية تسعد الغير.. لمَ نرهق أحبتنا بتكرار معالم ألمنا، بينما هو يخصنا وحدنا.. إن سُئِلَ المرء عن أخباره فليبتسم ولا يَشْكُ هماً.. فكل قلب قد يكون مثقلاً بقنطار هموم أو آلام.

لا تستصغر عمل الخير، لعله مردود لك قناطير.. فمعظم النار من مستصغر الشرر.. الحياة كذبة جميلة.. والموت حقيقة مؤلمة.. لا تحزن على ما تخسر، لربما الآتي لا تتوقع أن تملكه يوماً، إلا الموت الذي يفقدك غالياً، تبقى غصته في الحلق علقم.. ونزيز جرحه في القلب باق..

الماء في السفينة مفزع.. والسفينة فوق الماء رحلة.. لنكن في قلب الدنيا نملكها، ولا تكون في قلبنا فنزداد همّاً.. جبر الخواطر راحة لا تضاهى.. ومراعاة المشاعر من مكارم الأخلاق.. التلطف في الكلام والفعل ترنيمة فرح شجية، لؤلؤة في صدفة بحرية، تسعد حاملها والآخرين.

بعض الأخطاء جارحة مؤلمة.. لا تمحوها السنين.. فلنحذر ما يجرح حيث لا شفاء.. فقد يكون الغفران صعباً.. أثقل من أن يتحمل المرء الصفح عنه.. النقاء في الروح مرتسمه الوجه.. فلتكن البشاشة سمة وجوهنا.. ليكون أجمل اللوحات التي تُرسم بلا ريشة رغم بديع ألوانها..

العاطفة والعقل اللين.. القلب النقي والنفس الصافية.. حسن النوايا وجبر الخواطر.. البسمة والعرفان والصفح والمطر.. جمال لا يعرفه إلا المتصالحون مع أنفسهم.. الصمت مع حسن الظن واحة رضىً.. والابتعاد عن الحسد وجَرح الآخرين، صندوق لا يَعرف محتواه إلا من تلمس الأعذار لمن يحب.. كوكبة مكارم أخلاقية تزهر في بستان أخضر مزين بأحلى الورود..

أيا ذيّاك الجمال.. لو تحلت البشرية به لأزهرت الدنيا بما عليها، ولنمت الإنسانية في براح بلا حدود.. بدل الحروب والموت والقتل والدمار.. حيث الشقاء وظلم الأشقياء..

نرجس

علم عبد اللطيف

في الصباحات المشرقة..ألمّكَ نرجساً
ضاحكاً..أضمومة عبقٍ وحب..قلتُ..
أتمنى ان تتحدث عني الزهور الطاغية
في أديم الخلق..هي تجمع في هندستها
التقاويم..تتحدث ألوانها بكمال
الابتداع.
عكَس الماءُ صورةَ النرجس..فافتتنَ المفتونُ
بذاته
وغاب في ماء الصورة.
فقال العطر..
كان انتشارك غيمةً بيضاء
أمطرت صوراً مُبتدَعةً للخلق
ماكنا لنفهم العطرلو لم يلج في نشوتنا
..لو لم ينتصب فينا عاشقاً
وقال النرجس..
أهذه صورتي؟
ويجيبه الماءُ جمالاً.
أيقِظْ نارَ الشوق في عينيك..سترى وجه
السماء وعيونها المذهّبات والمفضّضات..
ولكأن الهواءَ عابرُ المساء..أمْسِكْ كل هذا
على سقف السماء..واترك عينيك غافية..
لا تلق بالاً لنذير الرحيل..
العاشق لا يعرف طرقَ الغربة
ستكون انتصاراته عليك..هزيمة وعيده
قل له دوماً
اقشّرك لوزا ..وأنام في لحائكَ اليانع وهو
يصنع مجدَ مذاقه
وستتبع أوروفيوس الى الشواطئ حاملاً
قيثارة خضرته
وحين لا تجد مكاناً لأغصانك.
مدّ جذورك إلى أحلام العصافير
وحاول تقليد صوت السماء وهي تمطر
مبتلة الجناح.

شاعر وقصيدة

لا تصالح

أمل دنقل

من يوميات الكاتب: حزيران ١٨٧٦ – تأليف: فيودوردوستويفسكي

مازالت كما كانت يوم كتبها الشاعرة قصيدة
بهية ندية، صالحة لليوم والغد، وما أشبه
اليوم بالأمس وما أصدق أمل دنقل
(١)
لا تصالحْ!
..ولو منحوك الذهب
أترى حين أفقأ عينيك
ثم أثبت جوهرتين مكانهما..
هل ترى..؟
هي أشياء لا تشترى..:
ذكريات الطفولة بين أخيك وبينك،
حسُكما فجأةً بالرجولة،
هـذا الحيـاء الـذي يكبت الـشـوق.. حين
تعانقُهُ،
الصمتُ مبتسمين لتأنيب أمكما.. وكأنكما
ما تزالان طفلين!
تلك الطمأنينة الأبدية بينكما:
أنّ سيفانِ سيفَكَ..
صوتانِ صوتَكَ
أنك إن متّ:
للبيت ربٌّ
وللطفل أبْ
هل يصير دمي بين عينيك ماءً؟
أتنسى ردائي الملطّخَ بالدماء..
تلبس فوق دمائي ثيابًا مطرّزَةً بالقصب؟
إنها الحربُ!
قد تثقل القلبَ..
لكن خلفك عار العرب
لا تصالحْ..
ولا تتوخَّ الهرب!
(٢)
لا تصالح على الدم.. حتى بدم!
لا تصالح! ولو قيل رأس برأس
أكلُّ الرؤوس سواءٌ؟
أقلب الغريب كقلب أخيك؟!
أعيناه عينا أخيك؟!
وهل تتساوى يدٌ.. سيفها كان لك
بيدٍ سيفها أشْكَلك؟
سيقولون:
جئناك كي تحقن الدم..
جئناك. كن يا أمير الحكم
سيقولون:
ها نحن أبناء عم.
قل لهم: إنهم لم يراعوا العمومة فيمن هلك
واغرس السيفَ في جبهة الصحراء
إلى أن يجيب العدم
إنني كنت لك
فارسًا،
وأخًا،
وأبًا،
ومَلِك!
(٣)
لا تصالح ..
ولو حرمتك الرقاد
صرخاتُ الندامة
وتذكّر..
(إذا لأن قلبك للنسوة اللابسات السواد
ولأطفالهن الذين تخاصمهم الابتسامة)
أن بنتَ أخيك «اليمامة»
زهرةٌ تتسربل في سنوات الصبا
بثياب الحداد
كنتُ، إن عدتُ:
تعدو على دَرَج القصر،
تمسك ساقيّ عند نزولي..
فأرفعها وهي ضاحكةٌ
فوق ظهر الجواد
ها هي الآن.. صامتةٌ
حرمتها يدُ الغدر:
من كلمات أبيها،
ارتداءِ الثياب الجديدة
من أن يكون لها ذات يوم أخٌ!
من أبٍ يتبسّم في عرسها..
وتعود إليه إذا الزوجُ أغضبها..
وإذا زارها.. يتسابق أحفادُه نحو أحضانه،
لينالوا الهدايا..
ويلهوا بلحيته (وهو مستسلمٌ)
ويشدُّوا العمامة..
لا تصالح!
فما ذنب تلك اليمامة
لترى العشّ محترقًا.. فجأةً،
وهي تجلس فوق الرماد؟!
(٤)
لا تصالح
ولو توّجوك بتاج الإمارة
كيف تخطو على جثة ابن أبيكَ..؟
وكيف تصير المليكَ..
على أوجهِ البهجة المستعارة؟
كيف تنظر في يد من صافحوك..
فلا تبصر الدم..
في كل كف؟
إن سهمًا أتاني من الخلف..
سوف يجيئك من ألف خلف
فالدم الآن صار وسامًا وشارة
لا تصالح،
ولو توّجوك بتاج الإمارة
إن عرشَك: سيفٌ
وسيفك: زيفٌ
إذا لم تزنْ بذؤابته لحظاتِ الشرف
واستطبت الترف
(٥)
لا تصالح
ولو قال من مال عند الصدامْ
«.. ما بنا طاقة لامتشاق الحسام..»
عندما يملأ الحق قلبك:
تندلع النار إن تتنفّسْ
ولسانُ الخيانة يخرس
لا تصالح
ولو قيل ما قيل من كلمات السلام
كيف تستنشق الرئتان النسيم المدنّس؟
كيف تنظر في عيني امرأة..
أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها؟
كيف تصبح فارسها في الغرام؟
كيف ترجو غدًا.. لوليد ينام
كيف تحلم أو تتغنى بمستقبلٍ لغلام
وهو يكبر بين يديك بقلب مُنكّس؟
لا تصالح
ولا تقتسم مع من قتلوك الطعام
وارْوِ قلبك بالدم..
وارو التراب المقدّس..
وارو أسلافَكَ الراقدين..
إلى أن تردّ عليك العظام!
(٦)
لا تصالح
ولو ناشدتك القبيلة
باسم حزن «الجليلة»
أن تسوق الدهاءَ
وتُبدي لمن قصدوك القبول
سيقولون:
ها أنت تطلب ثأرًا يطول
فخذ الآن ما تستطيع:
قليلاً من الحق..
في هذه السنوات القليلة
إنه ليس ثأرك وحدك،
لكنه ثأر جيلٍ فجيل
وغدًا..
سوف يولد من يلبس الدرع كاملةً،
يوقد النار شاملةً،
يطلب الثأرَ،
يستولد الحقّ،
من أَضْلُع المستحيل
لا تصالح
ولو قيل إن التصالح حيلة
إنه الثأرُ
تبهتُ شعلته في الضلوع..
إذا ما توالت عليها الفصول..
ثم تبقى يد العار مرسومة (بأصابعها
الخمس)
فوق الجباهِ الذليلة!
(٧)
لا تصالحْ، ولو حذّرتْك النجوم
ورمى لك كهّانُها بالنبأ..
كنت أغفر لو أنني متُّ..
ما بين خيط الصواب وخيط الخطأ.
لم أكن غازيًا،
لم أكن أتسلل قرب مضاربهم
لم أمد يدًا لثمار الكروم
لم أمد يدًا لثمار الكروم
أرض بستانهم لم أطأ
لم يصح قاتلي بي: «انتبه»!
كان يمشي معي..
ثم صافحني..
ثم سار قليلاً
ولكنه في الغصون اختبأ!
فجأةً:
ثقبتني قشعريرة بين ضلعين..
واهتزّ قلبي كفقاعة وانفثأ!
وتحاملتُ، حتى احتملت على ساعديّ
فرأيتُ: ابن عمي الزنيم
واقفًا يتشفّى بوجه لئيم
لم يكن في يدي حربةٌ
أو سلاح قديم،
لم يكن غير غيظي الذي يتشكّى الظمأ
(٨)
لا تصالحُ..
إلى أن يعود الوجود لدورته الدائرة:
النجوم.. لميقاتها
والطيور.. لأصواتها
والرمال.. لذراتها
والقتيل لطفلته الناظرة
كل شيء تحطم في لحظة عابرة:
الصبا بهجةُ الأهل صوتُ الحصان التعرفُ
بالضيف همهمةُ القلب حين يرى برعماً
في الحديقة يذوي الصلاةُ لكي ينزل المطر
الموسميُّ مراوغة القلب حين يرى طائر الموتِ

ديب حسن، [٢٠٢٢/٠٣/٣٠ ٠٤:٥٠ م]
وهو يرفرف فوق المبارزة الكاسرة
كلُّ شيءٍ تحطّم في نزوةٍ فاجرة
والذي اغتالني: ليس ربًا..
ليقتلني بمشيئته
ليس أنبل مني.. ليقتلني بسكينته
ليس أمهر مني.. ليقتلني باستدارتِهِ الماكرة
لا تصالحْ
فما الصلح إلا معاهدةٌ بين ندّينْ..
(في شرف القلب)
لا تُنتقَصْ
والذي اغتالني مَحضُ لصْ
سرق الأرض من بين عينيّ
والصمت يطلقُ ضحكته الساخرة!
(٩)
لا تصالح
ولو وقفت ضد سيفك كل الشيوخ
والرجال التي ملأتها الشروخ
هؤلاء الذين تدلت عمائمهم فوق أعينهم
وسيوفهم العربية قد نسيت سنوات الشموخ
لا تصالح
فليس سوى أن تريد
أنت فارسُ هذا الزمان الوحيد
وسواك.. المسوخ!
(١٠)
لا تصالحْ
لا تصالحْ